حسن العزاء
في تسلية أهل البلاء

تأليف

خالد بن سعود البليهد



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، **وبعد:**

فهذا كتيب لطيف في بث قبسات وأنوار ولطائف في تعزية أهل البلاء ومواساتهم؛ لتخفيف مصابهم وتثبيتهم على الصبر والرضا، وتنوير بصيرتهم، وتعريفهم بفضل البلاء وعظم منزلته عند الله وتسليتهم؛ حتى لا يستوحشوا الطريق، ويسيروا إلى ربهم وهم محققون العبودية لله والجنة نصب أعينهم، ورضا الله مطلبهم.

وقد جعلته في فصول بأسلوب مشوق، كحديث الرجل لأصحابه، وحديث القلب للروح، ولم أراع ترتيبًا معينًا، واجتهدت في ذكر معاني الكتاب والسنة

وكلمات الأئمة، وأشرت إلى بعض قصص أهل البلاء، مع التنبيه على مهمات المسائل المتعلقة بفقه البلاء، والنصح والإرشاد لأهل البلاء.

وحرصت على اختصاره؛ لأن الناس في هذا الزمان أعرضوا عن القراءة إلا من وفقه الله، وقد يقع شيء من التكرار في المعاني؛ وهذا حسن في مقام الوعظ، والفضل يرجع للمولى وحده، ثم لأهل العلم، وما أنا إلا دليل للقوم، مقتبس من معارفهم.

فالله أسأل أن يجعله بردًا ويقينًا على أهل البلاء، سلوانًا لهم عن ألم البلاء، حاملًا لهم على سلوك أهل الرضا من أهل السنة، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، مسهلًا لطريق الجنة، ومنجيًا من عذاب النار، آمين.

ابن بليهد الخالدي النجدي

٢٩/١٠/١٤٣٤هـ

فصل في حقيقة الابتلاء

من سنن الله الكونية على عباده أن يبتليهم بالشر والخير، بالسراء والضراء، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].

ويكون ذلك فتنة لأهل السراء وفتنة لأهل الضراء، وكل ما يحصل للعبد من زيادة أو تجدد نعمة أو نقص أو زوال نعمة فهو داخل في الابتلاء؛ لأنه من باب الاختبار والامتحان له.

ومن الناس من يوسع الله عليه في رزقه، ويفتح عليه الملذات والخيرات؛ ليرى هل يشكر تلك النعم أم يكفر بها؟ كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النَّمل: الآية ٤٠]. ومن الناس من يضيَّق عليه في رزقه، ويحرم الخيرات، وينزل عليه البلاء، وتسوء دنياه؛ ليرى

هل يصبر ويحتسب أم يسخط ويجزع؟ كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٣١].

وهذه الدنيا بأسرها دار ابتلاء وفتنة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]. وليست دار نعيم وخلود، والسرور فيها عابر وليس بدائم؛ **ولهذا قال ابن مسعود** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا».

أما الجنة فدار نعيم وخلود، خالية من النصب والحزن والكدر، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحِجر: الآية ٤٨].

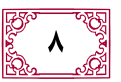
وقال ابن الجوزي: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تعتور فيها الأمراض والأكدار ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من

الدنيا ونوح بكى ثلاثمائة عام وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد ويعقوب بكى حتى ذهب بصره وموسى يقاسي فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقتل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه.

وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء مما يطول ذكره، ولو خلقت الدنيا للذة لم يكن حظ المؤمن منها، وقد قال النبي ﷺ: «**الدُّنيَا سِجْنُ المُؤْمِن، وَجَنَّةُ الكَافِرِ**».

والابتلاء بالخير والسراء وانفتاح زهرة الدنيا أشد غالبًا فتنةً واختبارًا على المؤمن من ابتلائه بالضراء والضيق؛ لأنه لا يستطيع دفع البلاء عنه؛ فيلزم الصبر طمعًا في الأجر والرضا في الآخرة، أما حال السراء فتراه يفتتن بزخرف الدنيا، ويؤثرها على نعيم الآخرة،

ويغلبه الترف ويستولي عليه الشيطان؛ فيحمله ذلك على الغفلة والإعراض عن طاعة الله.

وكثير من الناس يفشل في اختبار السراء؛ **ولهذا قال عمر** : «بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نشكر». **وقال بعض السلف:** «فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر على فتنة السراء إلا صِدِّيق».

فصل في أنواع البلاء

والبلاء له أنواع كثيرة، فقد يبتلى المؤمن بأنواع من البلاء: تارةً يفقد حبيبه وأهله، وتارةً يخسر مالًا عظيمًا، وتارةً لا يوفق في أبواب الدنيا، ومع ذلك قد يبتلى بكثرة العيال، ويركبه هم وغم لأجل القيام على مصالحهم.

وفي المقابل قد يحرم الولد فيتجرع مرارة الحرمان، ومنهم من لا يرزق دارًا فيعيش تحت رحمة ملاك الدور،

الذين في الغالب لا يعرفون السماحة، ومن البلاء المستطير أن يركب المؤمن دين عظيم لا يستطيع الوفاء به؛ فيحمله ذلك على المآثم.

ومن أعظم البلاء أن يتسلط على المؤمن بعض الأراذل في مصلحة أو عمل أو سلطة؛ فيظلمونه ويقهرونه، ولا يعرفون قدره.

ومن البلاء العام أن يبتلى المؤمن بحاكم جائر، لا يوفيه حقوقه الدنيوية من مسكن وصحة وغيرها، ولا يجد طريقًا لإيصال صوته؛ لتمكن بطانة السوء. وغير ذلك كثير.

وقد جمع للنبي ﷺ كثير من أنواع البلاء؛ فابتلي في أهله، وماله، وولده، ودينه، فصبر واحتسب وأحسن الظن بربه، ورضي بحكمه، وامتثل الشرع ولم يتجاوز حدوده؛ فصار بحقٍّ قدوة يحتذي به لكل مبتلى.

خطر البلاء في الدين

وأعظم ما يبتلى به الإنسان وأخطره ما يكون في إسلامه وإيمانه واتباعه للسنة؛ لأن ذلك قد يفضي بضعيف البصيرة إلى وقوعه في الفسق، أو البدعة، أو الكفر؛ فيخسر دينه، والدين أعظم ما يملكه المسلم في حياته؛ لأن كل شيء من الدنيا يفوت يعوض، ولهذا قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان نبي الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**». رواه البخاري، وكان يقول في دعائه ﷺ: «**وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا**»، رواه الترمذي.

وقد كان أيضًا ﷺ يتعوذ من الانتكاسة في الدين والطاعة؛ فيقول: «**اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِن الْحَوْرِ بَعْدَ**

الْكَوْرِ». رواه الترمذي.

يقول شريح القاضي: «إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره؛ إذ لم تكن أعظم مما هي، وإذ رزقني الصبر عليها، وإذ وفقني الاسترجاع لما أرجوه فيها من الثواب، وإذ لم يجعلها في ديني».

والعبرة بخواتيم الأعمال والنهايات لا بالبدايات؛ ولهذا كان السلف يشتد خوفهم ووجلهم من سوء الخاتمة.

وللابتلاء والفتنة في الدين صور كثيرة منها:

١- أن يتعرض للشبهات والفتن عن طريق معاشرة ومصاحبة أهل البدع، والوثوق بهم، وإحسان الظن بهم، والاغترار بزيهم؛ فيستمع لكلامهم فيفسدون إيمانه ودينه واعتقاده، ويوقعونه في الشكوك والنواقض؛ فيؤثر مذهب البدعة على السنة، وقد يفضي به ذلك - والعياذ بالله - إلى الوقوع في الردة؛ كما حصل لبعض المنتسبين للنُّسُك

والعلم؛ ولذلك حذر أئمة السنة من مصاحبة أهل البدع وسماع كلامهم واستحسانه، **قال شعبة:** «كان سفيان الثوري يبغض أهل الأهواء، وينهى عن مجالستهم أشد النهي».

٢- أن يتعرض للشهوات والملذات المحرمة، عن طريق معاشرة وصحبة أهل المجون والبطالة؛ فيقترف المعاصي، ويركب الشهوات ويستحل المحرمات، ويزين له الشيطان، ويُفتن عن سبيل الطاعة؛ فيهلك دينه؛ ويلقى ربه على أسوأ حال، وأخطر ما يدخل الشيطان على المسلم في باب الشهوات من باب الأموال وباب النساء، ولذلك حذر النبي ﷺ من صاحب السوء وقال: ﴿**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**﴾. رواه الترمذي.

٣- أن يُكْرَه المؤمن على قول الكفر وإظهاره ويعذب في ذلك، والأفضل له أن يصبر ويثبت على الحق، ولو أزهقت نفسه في سبيل الله، كما فعل أهل الأخدود حين

أُلْقِيَ بهم في النار وهم ثابتون على الإيمان.

وقد رخص الله له في قول الكفر اتقاءً لما يلحقه من الأذى والضرر، بشرط أن يقول الكفر ظاهرًا، ويكون قلبه منعقد على الإيمان، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النّحل: الآية ١٠٦]. أما إذا وافق الكفار طمعًا في الدنيا ورجاء لمنفعتهم، وتولاهم في الظاهر والباطن، وأحب دينهم فهذا كافر مرتد عن دين الإسلام باتفاق أهل السنة.

٤- أن يُكْرَه المؤمن على إظهار البدعة وموافقة أهل البدع في باطلهم؛ فيحرم عليه ذلك، إلا إذا سُلط عليه سوط أو سيف لا يطيقه؛ فيحل له موافقتهم في الظاهر مع كرهه وبغضه في الباطن، كما حصل لكثير من العلماء

والنُّسَّاك في محنة خلق القرآن؛ حيث عذبوا ولم يطيقوا؛ فأظهروا القول بالبدعة؛ ليتخلصوا من أذى السلطان، أما من آثر مصلحته الشخصية من غير إكراه؛ فوافق أهل البدع على باطلهم، وكثر سوادهم فحكمه حكمهم.

أما الإمام الذي تطيعه الناس ويصدرون عن رأيه، ويكون حجة فيما بينهم وبين الله، ويتوقف بيان الحق على كلمته فيجب عليه الأخذ بالعزيمة، ولا ينبغي له الأخذ بالرخصة؛ لأن سكوته يؤدي إلى خفاء الحق، وظهور الباطل، ولذلك ثبت إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في محنة القرآن وعُذِّبَ وحُبِسَ وابْتُلِيَ بلاءً عظيمًا ليوافق أهل البدعة؛ فصبر واحتسب وأظهر السنة، وانكشفت الغمة عن الأمة؛ فحصل بذلك خير عظيم، وفتح مبين، **قال علي بن المديني:** «ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل».

فصل في حكمة البلاء

إن من السنن الكونية وقوع البلاء على المخلوقين اختبارًا لهم، وتمحيصًا لذنوبهم، وتمييزًا بين الصادق والكاذب منهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: الآية ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥]، وقال تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١- ٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

والبلاء يحقق للعبد العبودية التامة بمشاهدة مقام التوكل، واليقين، والرضا، والإيمان بالقضاء، والغنى بالله، والذل والافتقار للمولى، وتطهير القلب من أدواء الشبهات والشهوات، وانكسار القلب حتى يستشعر قربه ومودته ومناجاته، ويكون من أهل النعيم في الدنيا والآخرة، **قال ابن القيم:** «فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله؛ يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهَّله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه».

وأكمل الناس إيمانًا أشدهم ابتلاء؛ قال رسول الله ﷺ: **«أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بِهِ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قدر دِينِهِ،**

فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ ومَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ. رواه أحمد.

وفوائد الابتلاء:

١- تكفير الذنوب ومحو السيئات.

٢- رفع الدرجة والمنزلة في الآخرة.

٣- الشعور بالتفريط في حق الله واتهام النفس ولومها.

٤- فتح باب التوبة والذل والانكسار بين يدي الله.

٥- دواء الكبر والعجب في النفس.

٦- تقوية صلة العبد بربه.

٧- تذكر أهل الشقاء والمحرومين والإحساس بآلامهم.

٨- قوة الإيمان بقضاء الله وقدره، واليقين بأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله.

٩- تذكر المآل وإبصار الدنيا على حقيقتها.

فصل في حال أهل البلاء

وأهل البلاء هم من لازمهم البلاء غالبًا في حياتهم، إما لمرض مزمن أو فقر مسكن، أو تسَلُّط الشياطين عليهم، أو تتوالى عليهم النكبات والمحن، أو تكون أحوالهم في شدة وضيق فلا يتلذذون بدنياهم ويغلب عليهم البؤس؛ فإن صبروا عليه واحتسبوه في رضا الله ارتفعت درجاتهم، وانقلب نعيمًا في الآخرة، وإن تسخطوا وضجروا خسروا نعيم الدنيا والآخرة.

أما أهل السراء فهم الذين وسع عليهم في أرزاقهم، ونالوا العافية في أبدانهم، واستقامت أحوالهم في الغالب إلا شيئًا يسيرًا يعرض لهم، لا يخرج حالهم من السراء إلى البلاء. وقد كان رسول الله ﷺ من أهل البلاء، وكثير من الصديقين والأولياء من أهل البلاء؛

فليبشر وليسر من كان من أهل البلاء، ولا يستوحش السير في هذا الطريق.

والمؤمن كل أمره خير، فهو في نعمة وعافية في جميع أحواله، قال الرسول ﷺ: ﴿**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**﴾. رواه مسلم.

واقتضت حكمة الله اختصاص المؤمن غالبًا بنزول البلاء؛ تعجيلًا لعقوبته في الدنيا، أو رفعًا لمنزلته، أما الكافر والمنافق فيعافى، ويصرف عنه البلاء، وتؤخر عقوبته في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: ﴿**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُميله، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ البَلاء، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَز حَتَّى تَستَحصد**﴾. رواه مسلم. **قال ابن رجب الحنبلي في «غاية النفع»**: «ففي هذه

الأحاديث: أن النبي ﷺ ضرب مثل المؤمن في إصابة البلاء بخامة الزرع التي تقلبها الريح يمنةً ويسرةً، والخامة الرطبة من النبات، ومثل المنافق والفاجر بالأرزة، وهي الشجرة العظيمة التي لا تحركها ولا تزعزعها؛ حتى يرسل الله عليها ريحًا عاصفًا فتقلعها من الأرض دفعةً واحدةً، وقد قيل: إنها شجرة الصنوبر، قاله أبو عبيد وغيره، ففي هذا فضيلة عظيمة للمؤمن بابتلائه في الدنيا في جسده بأنواع البلاء، وتمييز له عن الفاجر والمنافق بأنه لا يصيبه البلاء حتى يموت بحاله؛ فيلقى الله بذنوبه كلها؛ فيستحق العقوبة عليها».

فصل في أسباب نزول البلاء على المؤمن

وقد يتساءل كثير من الناس عن حقيقة البلاء، والأسباب الموجبة لنزوله، وكثرته على بعض المؤمنين، ويختلفون في هذه المسألة، والمتأمل في النصوص الشرعية يجد أن الناس في البلاء صنفان لكل صنف حكم يختص به:

الصنف الأول: من كان من الكُمَّل من أهل الإيمان ممن وافق عمله قوله، وسريرته لم تخالف علانيته، وظهر صبره وشكره وإحسانه على جوارحه، ولم يظهر تقصير على دينه، وهذا حال الأنبياء والصديقين، فهذا نزول البلاء عليه من باب الرفعة والكرامة له في الآخرة؛ لتعلو منزلته في الجنة كما أخبر النبي ﷺ بقوله: [**فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبدِ حَتَّى يَتركه يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**]. رواه الترمذي.

والأنبياء يبتلون لرفع منزلتهم، والتأسي بهم، وعدم اعتقاد الألوهية فيهم، وهذا الصنف قليل في المؤمنين، يعز وجودهم في كل زمان.

ولا ينبغي للمؤمن من أهل السلامة أن يتكل على هذا المعنى ويترك الاعتبار بالبلاء ولا يفتش في حاله ويقع في الغرور؛ لأنه قد يكون مبتلى بجرائم خفية تتعلق بقلبه ومقصده؛ فيهلك.

الصنف الثاني: من كان من أهل التقصير والزلات في القول والعمل، والخائضين في الشبهات والشهوات، والمتهاونين في الفرائض، والمتساهلين في الأمانات، والمطلقين ألسنتهم في أعراض الغافلين، كحال بعض عامة المسلمين من العصاة المجاهرين، فهذا نزول البلاء عليه من باب تكفير سيئاته، وجبر كسره، وغسل ذنوبه؛ لقول النبي ﷺ: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ هَمٍّ،**

وَلاَ حُزْن، وَلاَ وَصَب، وَلاَ نَصَب، وَلاَ أَذًى، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». رواه مسلم.

أو تعجيل عقوبته في الدنيا، وتنبيهه للتوبة والرجوع إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشّورى: ٣٠]، **قال ابن عباس:** «يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة»، وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ الْعُمُر إِلَّا الْبِرُّ**». رواه أحمد.

وهذا الصنف كثير في المسلمين ما بين مقل ومستكثر، والغالب في نزول البلاء أنه عقوبة وتكفير، وعامة النصوص تدل على هذا المعنى، **قال العباس** رضي الله عنه: «اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة».

وقال ابن سيرين: «إني لأعلم الذنب الذي حرمت به

قيام الليل أربعة أشهر؛ ذاك أني قلت لرجل: يا مفلس».

قال أبو سليمان الداراني: «قلَّت ذنوبهم؛ فعرفوا من أين أوتوا، وكثرت ذنوبنا؛ فلم ندر من أين نؤت».

وثمة أسباب عظيمة لنزول البلاء على هذا الصنف:

الأول: كثرة الذنوب والاستخفاف بها.

الثاني: المجاهرة بالمعاصي، وإظهار الفواحش.

الثالث: ظلم العباد والتسلط على حقوقهم.

الرابع: تعيير المسلم، والازدراء منه، والشماتة به.

الخامس: العقوق والقطيعة.

السادس: الركون للظلمة ونصرة أهل الفساد.

السابع: أكل الحرام والتحايل على المحرمات.

ونزول البلاء على المؤمن المقصر، وكثرة وقوعه عليه وتنوعه والله إنه من أعظم النعم عليه؛ لأنه تعجيل للعقوبة

عليه في الدنيا قبل الآخرة، كما روي في «مسند أحمد»: ﴿إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

وليعلم أن بلاء الدنيا أهون من بلاء الآخرة، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [القَلَم: الآية ٣٣]. **قال عكرمة:** «ما من نكبة أصابت عبدًا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها، أو درجة لم يكن الله ليبلغه إلا بها». فليستحضر هذا، وليصبر وليحتسب، وليحمد الله على البلاء.

وينبغي على المؤمن إذا نزل به البلاء كذلك أن يكثر من التوبة والاستغفار، وتصحيح العمل والقصد، وليفتش حاله، وليتخلص من جميع المظالم الحسية والمعنوية، وليطهر ماله من الشبهات، وليتهم دينه، ويمقت نفسه ويلومها في ذات الله، وليوقن أنه مقصر في حق الله،

وليعتبر في حال الدنيا الزائلة، ويعظم رغبته في الآخرة.

ومع هذا فقد يؤخر الله البلاء والعقوبة على الظالم ليبتلي عباده في دينهم، ويختبرهم، ثم يأخذه أخذةً شديدةً على حين غفلة، كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هُود: الآية ١٠٢]. متفق عليه.

فلا ينبغي للمؤمن أن يغتر ببقاء الظالم واستبداده، وتمكنه من رقاب العباد وأموالهم، ومن أعظم الشواهد في زماننا هلاك معمر القذافي على أسوأ ميتة بعد جبروته وتسلطه على رقاب المسلمين لعقود طويلة، وتحريفه للقرآن، واستهزائه بالرسول ﷺ، ومعاداته لأولياء الله؛ ففي هلاكه عبرة وعظة لكل طاغية.

ومن المؤكد شرعًا أن البلاء إذا اجتمع على العبد

مع صبره، ولزومه الطاعة ويقينه بوعد الله كان ذلك علامة ظاهرة على محبة الله لذلك العبد، واختياره واستعماله في طاعته، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**﴾. رواه الترمذي وحسنه.

أما من يظن ويزعم أن نزول البلاء والمصائب على المؤمن أمر قدري، لا علاقة له بأفعال العباد وارتكابهم المظالم والذنوب، ولا يرتبط بالسبب الشرعي فهذا مخطئ ومخالف للحقائق الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، ومخالف لفهم السلف المأمورين بإتباعهم، وقد تواردوا على الاعتراف بهذه الحقيقة ولم ينازعوا فيها فيما أعلم.

أما الإنسان الذي لا يكاد يبتلى في أحواله وأموره

مع كثرة رزقه وتيسر أموره، وفرحه وغفلته وبعده عن الطاعة وإغراقه في المعاصي والذنوب فهذا دليل بَيِّن على بعده عن الله، واستدراج الله له؛ ليزيده في الغي والضلال، فكلما أحدث ذنبًا أحدث له نعمة ليزداد شرًّا، كما نبه السلف الصالح على ذلك في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]. فلا تغتر أيها المؤمن برؤية أهل الدنيا من أهل المعاصي والغفلة، ممن غرقوا في بحر الشهوات، وسخر لهم الناس، وتيقن أن ما هم فيه بلاء عظيم بالنسبة لعقوبة الآخرة، وعاقبتهم سيئة إن لم يتداركوا أنفسهم بتوبة وإصلاح.

والحاصل: ينبغي على كل مؤمن أن يبادر بالتوبة وإصلاح الأعمال، والبعد عن أسباب الفتن، والتمسك بالتوحيد والسنة، والمشاركة في أبواب الخير على حسب

الاستطاعة، ومصاحبة الصالحين؛ ليختم له بخير وينجو في الآخرة.

فصل في نعمة البلاء

وهناك معان ولطائف إذا تأمل فيها العبد هان عليه البلاء، وآثر العاقبة الحسنة:

أولًا: أن يعلم أن هذا البلاء مكتوب عليه، لا محيد عن وقوعه، واللائق به أن يتكيف مع هذا الظرف، ويتعامل بما يتناسب معه.

ثانيًا: أن يعلم أن كثيرًا من الخلق مبتلى بنوع من البلاء؛ كلٌّ بحسبه، ولا يكاد يسلم أحد، فالمصيبة عامة، ومن نظر في مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

ثالثًا: أن يذكر مصاب الأمة الإسلامية العظيم بموت

رسول الله ﷺ، الذي انقطع به الوحي، وعمت به الفتنة، وتفرق بها الأصحاب - كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله - ومن تعزى بمصيبة الرسول هانت عليه مصيبته.

رابعًا: أن يعلم ما أعد الله لمن صبر في البلاء أول وهلة من الثواب العظيم، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الصَبْر عِنْدَ الْمُصِيبَةِ الأُولَى**». متفق عليه.

خامسًا: أنه ربما ابتلاه الله بهذه المصيبة دفعًا لشر وبلاء أعظم مما ابتلاه به، فاختار الله له المصيبة الصغرى، وهذا معنى لطيف.

سادسًا: أنه فتح له باب عظيم من أبواب العبادة: من الصبر، والرجاء، وانتظار الفرج، فكل ذلك عبادة.

سابعًا: أنه ربما يكون مقصرًا وليس له كبير عمل؛ فأراد الله أن يرفع منزلته، ويكون هذا العمل من أرجى

أعماله في دخول الجنة.

ثامنًا: قد يكون غافلًا معرضًا عن ذكر الله، مفرطًا في جنب الله، مغترًّا بزخرف الدنيا، فأراد الله قصره عن ذلك، وإيقاظه من غفلته، ورجوعه إلى الرشد.

فإذا استشعر العبد هذه المعاني واللطائف؛ انقلب البلاء في حقه إلى نعمة، وفتح له باب المناجاة ولذة العبادة، وقوة الاتصال بربه، والرجاء وحسن الظن بالله، وغير ذلك من أعمال القلوب ومقامات العبادة ما تعجز العبارة عن وصفه؛ **ولهذا قال وهب بن منبه:** «لا يكون الرجل فقيهًا كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة، ويعد الرخاء مصيبة، وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرخاء، وصاحب الرخاء ينتظر البلاء». وقال رسول الله ﷺ: ﴿**يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلاَءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ**﴾. رواه الترمذي.

فصل في مواقف الناس في البلاء

والناس حين نزول البلاء ثلاثة أقسام:

الأول: محروم من الخير، يقابل البلاء بالتسخط وسوء الظن بالله، واتهام القدر، وهذا مخذول قد ترك العمل بالشرع وأطاع الشيطان، وهو مذموم داخل في الوعيد. وهذا حال كثير من الجهلة الذين لم تلامس قلوبهم بشاشة الإيمان، وضعفت بصيرتهم.

الثاني: موفق يقابل البلاء بالصبر وحسن الظن بالله، وهذا متمسك بأصل الإيمان، عامل بالشرع، متبع للسنة، ومثاب على صبره، داخل في الوعد والنعيم يوم القيامة.

وهذا حال أهل الاستقامة من أهل التوحيد، الذين اطمأنت قلوبهم بحسن التوكل وإيثار ما عند الله.

الثالث: راض يقابل البلاء بالرضا والشكر، وهو أمر زائد على الصبر، وهذا كامل الإيمان، قد بلغ منزلة الأولياء الأصفياء، قد امتلأ قلبه وروحه بنور الإحسان والرضا واليقين، وتعلقت جوارحه وحركاته بالله، واستشعر تمام العبودية له، وهذا حال الخلص من أهل الإيمان.

وهناك أمور مهمة وأسباب رئيسة تؤثر على المبتلى في تحديد موقفه وثقافته وتصرفه تجاه البلاء، قد ترفعه إلى الثريا والسمو وسلوك أهل النبل والرضا، وقد تخفضه إلى الثرى والحضيض وسلوك السفلة أهل السفه، وهذه الأمور هي: مستوى الإيمان، ودرجة العلم بالله، واليقين بوعد الله ووعيده، والحرص على اتباع السنة، والاقتداء بالصالحين، والنشأة في البيئة الصالحة، ومعرفة حقيقة الدنيا، والحكمة من الابتلاء، فمن بلغ في هذه الأمور الكمال حمله ذلك إلى تحقيق الصبر والرضا عند نزول المصيبة، ومن قصر فيها كان من أهل السخط والفتنة.

فصل في فضل الجزاء على البلاء

إنَّ الصبر على البلاء والتقرب إلى الله بالرضا به من أعظم القرب والطاعات، وله ثواب عظيم في الجنة، مع راحة البال في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧]. فدلت الآيات على أن من صبر على البلاء كان مستحقًّا للثناء والرحمة من الله، وتحقق له الهداية في الدنيا والآخرة، وهذه من أعظم المبشرات والمسليات للمبتلى الصابر؛ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠]. وهذا يدل على أن أجر الصبر على البلاء وافر في الآخرة، ليس له حد ولا عدد، وهذا يدل على عظم جزائه.

وعظم الجزاء على الصبر يكون على حسب عظم البلاء في الدنيا، كما قال الرسول ﷺ: ﴿**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**﴾. رواه الترمذي.

فمن كثر بلاؤه في الدنيا، وعظمت مصائبه، وكان محتسبًا كان أكثر ثوابًا، وأعظم جزاءً ممن قل بلاؤه، والمؤمن لم يعطه الله عطاءً أطيب وأخير وأرحب من الصبر؛ ولذلك قال ﷺ: ﴿**مَا رُزِقَ عَبْدٌ عَطاء خَيْرًا لَهُ وَلاَ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**﴾. رواه الحاكم.

فصل في فضل الصبر على الابتلاء بالعقم

وقد يمنع الله الولد عن بعض الناس ويجعله عقيمًا، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وقد يلحق العقيم هم وحزن من جراء فقد الولد - وهذا أمر طبيعي من الفطرة، لا يؤاخذ عليه المرء شرعًا ولا يلام على ذلك - فإن صبر واحتسب الأجر على الله وأحسن الظن بربه جوزي أجرًا عظيمًا، وإن جزع وتسخط وأساء الظن بربه فاته خير عظيم، وباء بالإثم الكبير.

وسعي العقيم في تحصيل الولد وبذل الأسباب لا ينافي التوكل على الله، ولا ينقص الإيمان، والإنسان

مفطور على حب الولد، ويشترط في ذلك أن تكون الأسباب نافعة، سواء كانت أسبابًا عاديةً مباحةً مجربًا نفعها كالتداوي بالعقاقير الطبية، أو أسبابًا شرعية دل الشرع عليها كالرقية ونحوها، ولا يجوز بحال تعاطي الأسباب المحرمة من السحر والدجل والأوهام وغير ذلك، مما تذهب دين العبد، وتفسد عقله، وتضيع ماله.

والواجب على العقيم أن يربط قلبه بالله، ويتعلق به، ويكل الأمر إليه، ويوقن أن النفع والضر بيده، وأن الكون تحت يده، يتصرف به كيف شاء، وأن جميع هذه الأسباب مهما كانت لا تؤثر بنفسها، بل يصرفها الله؛ فان شاء أنفذها، وإن شاء أمسكها، فلا يتعلق بالمخلوق، ولا يلتفت قلبه إلى شيء من الأسباب.

والدعاء من أعظم الأسباب في حصول الولد؛ فليكثر العقيم منه، ولا بأس بطلب الدعاء من الرجل الصالح،

وأن يحسن الظن بربه ويوقن بالإجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]، وقال رسول الله ﷺ: «**ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ**». رواه الترمذي.

وليعظم الرجاء بربه، وينصرف إليه بكلِّية قلبه، ويدعو دعاء المضطرين، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦١]، وليعلم أنَّ الفرج قريب، وأنَّ الله قادر على كل شيء، خالق الأسباب والمسببات، خلق عيسى بلا أب، ورزق مريم بلا سبب، وأعطى زكريا الولد وزوجه عقيم، وقد بلغ من الكبر عتيًّا، وأطفأ نار إبراهيم ذات اللهب، فيا لله العجب! ما أعظم عطاياه! وأجزل نعمه! وألطفه بعباده!

ولما رأى زكريا عليه السلام سعة قدرة الله، ولطفه وكرمه،

ورعايته لمريم عليها السلام برزقها فاكهة الشتاء بالصيف، وفاكهة الصيف بالشتاء؛ طمع في الولد وقال: إن الذي قدر على ذلك لقادر على أن يصلح زوجي ويرزقني ولدًا على الكبر، وكان أهل بيته قد انقرضوا، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٣٨- ٤٠]. **قال ابن عباس:** «كان ابن عشرين ومائه سنة وكانت امرأته عاقرًا بنت ثمان وتسعين سنة». وقال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٣٩].

أخي العقيم، أقبل على ربك بالمناجاة ولا تيأس من رحمة الله، وتصدق وأحسن، وأكثر من التوبة والاستغفار، واعلم أن الله قادر في أي وقت على أن يرزقك الولد مهما طال الوقت كما رزق غيرك. وقد شاهدنا قصصًا عجيبة وأحوالًا في هذا الباب، وإياك والاعتماد على كلام الأطباء، والثقة على أنه من المسلمات التي لا تتغير، والوقوف عند ذلك، فهم يصفون الحال المشاهدة وفق مقاييس الخلق العاجز، ويتكلمون في الأسباب العادية، وقدرة الله فوق ذلك، وكم رأينا من قال فيه الأطباء: لا يولد له. فرزقه الله الولد.

وإذا كان سبب العقم ناتجًا عن الزوجة فالمشروع للزوج الإحسان إليها وإكرامها، وعدم تعييرها بذلك، والصبر على إمساكها، ودوام عشرتها، وإن رأى طلب الولد بالزواج بأخرى فحسن، وقد أوصى النبي ﷺ بذلك

فقال: ﴿تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. رواه أبو داود، مع الإحسان إلى الزوجة الأولى وعدم تسريحها، وذلك من المعروف الذي أوصى الله به.

والمرأة التي تبقى تحت زوج عقيم وهى خالية من العقم لها أجر عظيم وثواب جزيل على صبرها عن طلب الولد، وذهاب شبابها وزهرة عمرها بلا ولد، لا سيما إذا صلحت نيتها وكانت راغبة في صلاح الزوج وحسن خلقه وكمال عقله، ويجوز لها طلب الطلاق وفسخ العقد لذلك، كما قضى بذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويجب على من كان عالمًا بعقمه إذا تقدم لامرأة إبلاغها بعقمه، ويأثم بترك ذلك؛ لأن ذلك غرر نهى الشرع عنه ، وكذلك المرأة العقيم يجب عليها البيان.

۞ وهذه أمور تهوّن على العقيم وتسليه إذا تفكر فيها وتأملها:

الأول: أن يوقن أن ما من أمر قضاه الله وقدره إلا لحكمة بالغة، فالله سبحانه حكيم في أقواله وأفعاله وتقديره، لا يقضي شيئًا عبثًا، فإذا تفكر في فقد ولده أنه أمر قدِّر عليه لحكمة ولو خفيت عليه حصل له التسليم التام والرضا بذلك، وهذه حالة إيمانية عظيمة من استشعرها هان عليه الأمر.

الثاني: أن ذلك من البلاء الذي يبتلى فيه المؤمن في الحياة الدنيا؛ ليرى الله صدقه من كذبه، وإيمانه من نفاقه، وتسليمه من تسخطه، وكل يبتلى بنوع من البلاء، وقد ابتلي بأغلى شيء فليصبر.

الثالث: ما يترتب على الصبر من عظم الجزاء ودخول الجنة، فالجزاء من جنس العمل، فكلما عظم البلاء عظم

الجزاء، فإذا كان النبي ﷺ قال: «**مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ**». رواه البخاري، وأخبر أن فقد البنات حجابًا من النار، فكيف بمن حرم الولد ابتداء فصبر على ذلك؟! ما أعظم جزاءه! وأحسن عاقبته!

الرابع: أنه ربما صرف الله عنه الولد لطفًا به، ودفع عنه أعظم الشرَّين؛ لعلم الله السابق أنه لو رزق ولدًا لكان فتنه له في دينه، وشغلًا عن طاعته، وعذابًا له وهمًّا، كما قص الله سبحانه عن غلام الخضر حينما قتله قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠، ٨١]. أي: فعلمنا أن يحملهما حبه على أن يتابعانه على الكفر، **قال مطرف:** «فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقى لكان فيه هلاكهما؛

فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى؛ فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له فيما يحب». وكم والد فتن بولده، وصار وبالًا عليه، وشغله عن دينه، والله المستعان.

الخامس: إن كان الله أخذ منه الولد فقد بسط له في الوقت وبارك فيه، فالتفرغ للعبادة والدعوة وطلب العلم والعمل الصالح نعمه عظيمة حرم منها الكثير، وكم من شغِل برعاية ولده عن فعل الخير! وكذلك فقد الولد فيه سعة في المال والرزق، والولد مهلكة للمال؛ فليستثمر ذلك في بذل المال وإنفاقه في وجوه البر والإحسان، وكم رأينا من العلماء والصالحين الذين فقدوا الولد، وبارك الله في علمهم وعطائهم! ولله في خلقه شؤون.

السادس: أن هذا الأمر لم يخصه الله به، بل كتبه على طائفة كثيرة ممن قبله أو بعده يشاركونه في فقد

الولد، وأن الله كما فاوت بين الناس في الرزق فجعل منهم الغنى والفقير فاوت أيضًا بينهم في هذا الباب، فجعل منهم عقيمًا ومنهم ولودًا، والتفكر في هذا يهون الأمر عليه ويسليه.

فينبغي على العقيم أن يوطن نفسه على ذلك، وأن يكيفها على حسب ظرفه، ويسلى عن التفكير في عقمه ولا يسترسل وراء الوساوس، ويشغل نفسه بكل مفيد، ولا يبقى فارغًا يتخطفه الشيطان، فإنَّ الشيطان حريص على تخذيل المؤمن وتحزينه، ويدخل على كل مؤمن بما يناسبه.

فإن شق العقم عليه ولم يستطع دفعه، وصار يشكل له هاجسًا مؤلمًا في حياته، وأحس بفقد مشاعر الأبوة فليكفل ولدًا صغيرًا يرعاه في حجره، يملأ عليه حياته، ويشبع رغبته، ويشعره بنوع من الأبوة، ويكسر روتين

السكون والملل بينه وبين زوجته؛ فربما كان هذا حلًّا ناجحًا، وقد جربه أناس فانتفعوا به، مع حصول الأجر العظيم، ولا يلتفت أبدًا إلى كلام الناس وانتقادهم ما دام فعله في حدود الشرع وظهر نفعه.

وأخيرًا؛ فإن من اللطائف أن أهل الجنة لا توالد بينهم، ولا يكون لهم ولد، كما حكى ذلك طائفة من أهل العلم، ويشهد لهذا القول عموم الأدلة والنظر الصحيح؛ فإن قانون الجنة وطبيعة الحياة فيها وأحوال أهلها تخالف قانون الدنيا وأحوال أهلها، فالجماع في الجنة وجد للذة، والجماع في الدنيا وجد للتناسل وغيره، والأزواج في الجنة مطهرون من كل شيء خلافًا لأزواج الدنيا، والأزواج في الجنة أبكارٌ دائمًا خلافًا لأزواج الدنيا، وأهل الجنة أتراب، أسنانهم ثلاث وثلاثون لا ينقصون ولا يزيدون خلافًا لأهل الدنيا، ويبقى في الجنة فضل؛

فينشئ الله خلقًا جديدًا لذلك، ولو كانوا يتوالدون لما بقي فضل، ويلحق الله بالمؤمنين ذريتهم في الدنيا ولم يذكر لهم ذرية في الآخرة، وكل ما روي في السنة في إثبات الولد في الجنة منكر لا يصح منه شيء، والله أعلم بالحال.

وحال أهل الجنة أكمل الأحوال، ونعيمهم أحسن النعيم؛ فتسلى بذلك، واتخذه عزاءً لك، وأحسن صلتك بخالقك تفز بجنة ربك.

فصل في الصبر على الابتلاء بفقد الأبناء

ومن البلاء العظيم والمصاب الجلل أن يفقد المؤمن ولده، فلذة كبده؛ فيشق ذلك عليه، ويلحقه حزن عظيم وكآبة دائمة؛ لشدة محبته وتعلقه وولعه بولده، وكمال رجائه وأمله بنفعه في المستقبل، وكأنه فقد عضوًا من

أعضائه، والولد زينة الحياة الدنيا؛ لما فيه من القوة والدفع عن أبيه.

وفقد الأبناء أشد وقعًا وأعظم أثرًا عند كثير من الخلق من فقد سائر الأقارب؛ ولذلك ورد في الشرع فضل عظيم وجزاء عميم لمن ابتلي بفقد الولد، وبعض الناس يفشل في هذا الابتلاء الأكبر، ولا يصبر في هذا المقام إلا من عظم تعلقه بالله، وحسن توكله بالله، وعظم يقينه بوعد الله وحسن جزائه.

والواجب على الوالد عند فقد ولده أن يصبر ويحتسب، ويفوض أمره لله، ويمتنع عن كل ما يسخط الله، ويستحب له أن يسترجع فيقول: «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**».

وإذا احتسب الأبوان فقد الولد عند الله ورضيا بالقضاء كان لهما من الباقيات الصالحات عند الله يوم

القيامة، روي عن عياض بن عقبة الفهري أنه مات ابن له؛ فلما نزل في قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه. فقال: وما يمنعني وقد كان بالأمس من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات.

وثمة أمور تهون مصاب الوالد وتعزيه وتقويه على الصبر والرضا:

الأول: ليكن لك أسوة حسنة في أبيك إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما ابتلي بذبح ابنه؛ ففوض أمره لله وصبر وأطاع ربه لامتلاء قلبه باليقين والتسليم لحكم الله، ثم فداه الله بذبح عظيم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا
تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟

ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢- ١٠٧]. فتذكر أن الابتلاء بالولد من أعظم مقامات الامتحان، ولا يصبر عليه إلا الصفوة.

الثاني: تذكر حبيبك ونبيك محمدًا ﷺ حينما ابتلاه الله بموت ولده الصغير إبراهيم، وقد تعلقت نفسه به، فصبر واحتسب وقال ما يرضي ربنا، كما جاء في البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِي ﷺ دَخَلَ عَلَى ابنه إِبْرَاهِيم وَهُو يَجُودُ بِنَفْسِهِ؛ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**». ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**». متفق عليه.

فإن كان أفضل الخلق ابتلي بفقد الولد فكيف بحالك؟!

فتأسَّ بنبيك، واتبع هديه، وفوض أمرك لله، ولا تسخطه في هذه المصيبة.

الثالث: تذكر وتأمل في عظم الجزاء لمن صبر على فقد ولده واحتسبه عند الله، ولم يصدر منه ما يسخط الله، كما في «الصحيحين» قال النبي ﷺ: ﴿**مَا مِنْكُنَّ مِن امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا، مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**﴾ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿**وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ**﴾، وفي «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال لنسوة من الأنصار: ﴿**لاَ يَمُوتُ لإِحْدَاكُنَّ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبهُ، إِلاَّ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ**﴾. فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوِ اثْنَانِ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ﴿**أَوِ اثْنَانِ**﴾. وفي «صحيح البخاري» قول النبي ﷺ: ﴿**مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ**﴾.

فدخول الجنة والوقاية من النار يثبت بكرم الله ومنه

لمن صبر على فقد ولد واحد، وكلما زاد العدد عظم الثواب والأجر، وفضل الله واسع، فكيف تزهد في هذا الثواب وتعرض نفسك لسخط الله؟!

وهذا الفضل يثبت لفقد الولد البالغ وغير البالغ، **قال ابن رجب:** «وعمومه يدخل فيه من بلغ الحنث ومن لم يبلغه، والمصيبة بمن بلغ أعظم وأشق على النفوس».

الرابع: تأمل قصة المرأة الأنصارية أم سليم مع زوجها - المخرَّجة في «الصحيحين» - لما مات ولدها ابن أبي طلحة قالت لما دخل: لا يذكر أحد ذلك لأبي طلحة، فلما جاء وسأل عن ولده قالت: هو أسكن ما كان؛ فظن أنه عوفي وقام فأكل، ثم تزينت له وتطيبت فنام معها وأصاب منها، فلما أصبح قالت له: احتسب ولدك؛ فذكر ذلك للنبي فقال: ﴿**بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا**﴾. فجاء بولد وهو عبد الله بن طلحة، فأنجب ورزق أولادًا قرأ القرآن منهم عشرة كملًا. وكذلك إذا صبرت وأحسنت

التصرف وتمسكت بالشرع؛ سيفتح الله عليك بابًا من الرحمة، ويمدك بلطفه وعنايته، ويسليك وينسيك الهموم والأحزان، ويفتح عليك المسرات.

الخامس: تأمل وتفكر في أن شدة غمك واكتئابك وتذكرك لسيرة الولد وتجدد حزنك لا يرجع لك الولد، ولا يعود لك بفائدة؛ لأنه قضى إلى ربه، وإنما يزيدك غمًّا وهمًّا، ويعيقك عن عمل الطاعات واغتنام الأوقات، وهو باب شر يفرح به الشيطان منك، **قال يحيى بن معاذ:** «ابن آدم، ما لك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت، ما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت».

السادس: اعلم أنك إذا أفرغت قلبك من حزن الولد، وأشغلته بمحبة الله وذكره ومناجاته: بالإقبال على الصلاة، وتلاوة القرآن، والإحسان إلى الفقراء، والاشتغال بالأمور النافعة يغسل قلبك من الحزن، ويخفف المصاب، ويسليك

عن الألم والأسى.

السابع: من أعظم ما يهون المصاب ويطرد الحزن ويورث برد اليقين التأمل في حقيقة الدنيا وقصر الأمل، وأنك عن قريب مهما طال عمرك وكثر مالك سترحل عن الدنيا وأهلها، وستخلد في الآخرة وتلقى ولدك في الجنة بكرم الله ورحمته، فلماذا تحزن وتشقى على نعيم زائل وحال فانية، وتنسى النعيم الدائم والحال الخالدة؟!

الثامن: تذكر أن العبد إذا حمد الله واحتسب ولده عند الله بني له بيت خاص في الجنة، كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالى لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: فمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**». رواه الترمذي.

التاسع: تذكر أن الولد والمال والأهل أمانة من قبل الواهب، وأنه سبحانه يومًا ما يستردها منك متى شاء؛ فلا تحزن على فقدها، ولا تتبعها نفسك، **قال ابن مسعود** رضي الله عنه: «ما منكم إلا ضيف وماله عارية، والضيف مرتحل، والعارية مؤداة إلى أهلها». **وقال الشاعر:**

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد من يومٍ ترد الودائع

العاشر: تدبر في حال السلف وتعاملهم مع الله حين فقدوا الولد فاحتسبوا ورضوا، وفوضوا أمرهم إلى الله، فقد أُخبر ابن عباس رضي الله عنهما بوفاة ابن له وهو في سفر فاسترجع **وقال:** «عورة سترها الله، ومؤنه كفاها الله، وأجر ساقه الله تعالى»، ثم نزل فصلى ركعتين، **ثم قال:** «قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٥]».

الحادي عشر: تيقن أن أبناءك الصغار الذين فقدتهم يسرحون وينعمون في الجنة كما صحت بذلك السنة، فطب نفسًا ولا تحزن عليهم، فعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا. قال: قال: نعم، ﴿**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ** – أَوْ قَالَ: **أَبَوَيْهِ** –، **فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَإِيَّاهُ الْجَنَّةَ**﴾. رواه مسلم، وحكى الإمام أحمد الإجماع على أن أطفال المسلمين في الجنة.

الثاني عشر: تذكر أن ولدك الذي فقدته ينتظرك على أبواب الجنة، مشتاق لرؤيتك، يشفع لك في دخول الجنة، كما جاء في «مسند أحمد» عن معاوية بن قرة، عن أبيه: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: ﴿**مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟**﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاتَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِيهِ: «**أَمَا تُحِبُّ أَنْ لاَ تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلاَّ وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «**بَلْ لِكُلِّكُمْ**».

وخرج الإمام أحمد من حديث معاذ عن النبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ**».

الثالث عشر: أنصح الأبوين بالتخلص من جميع آثار الولد الميت وأغراضه الخاصة به، وعدم الاحتفاظ بشيء منها؛ لأن تقليبها والنظر فيها يجلب الأحزان، ويجدد الهموم، ويفطر القلب، ويزعج الخاطر، ولا فائدة فيه.

وينبغي لهما أن ينشغلا بكل ما ينسيهما جلل المصاب، ولا يسترسلا في الحزن؛ لأنه يفسد حياتهما، ويفوت عليهما خيرًا عظيمًا.

فصل في الصبر على الابتلاء بالإعاقة

فقد شاء الله بحكمته البالغة ورحمته العظيمة أن يبتلي بعض عباده بالإعاقة، كما يبتلي غيرهم بالمرض والفقر والخوف وغير ذلك من البلاء؛ ليرى من يشكر ممن يكفر، ويمتحن عباده كلًّا بما يناسبه.

وقد رتب الشارع الحكيم ثوابًا عظيمًا لمن فقد عينيه، كما في «صحيح البخاري» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ؛ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**﴾. وهذا الحديث أصل فيمن ابتلي بالإعاقة ففقد عضوًا مهمًّا فصبر واحتسب فله الجنة.

وهذا في الإعاقة الطارئة، وفي معناه -ويحتمل أشد- من ولِد معاقًا ناقص الخلقة، قد لحقه الضرر طيلة عمره

ولم يطرأ عليه، ولا أعلم حديثًا أعظم ثوابًا لذوي الإعاقة من هذا الحديث.

وثمة أمور تخفف مصاب المعاق، وتسهل عليه حاله، وتجعله يعيش في سعادة:

الأول: أن يوقن أن ما فيه من إعاقة هو ابتلاء من الله لحكمة بليغة، قد تظهر له وقد تخفى عليه، ولا يوجد تصرف أفضل في مثل هذه الحال من الصبر والاحتساب، والرضا بقضاء الله وقدره. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

الثاني: أن يوقن المعاق أن ما هو فيه هو من حال رزق كتبه الله عليه وقسمه له، كما يقسم الأرزاق بين الناس؛ فليقنع بذلك ويرضى بقسمة الله؛ ليفلح ويشعر بالسعادة القلبية، والاطمئنان الروحي، وقد قال الرسول ﷺ:

﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**﴾. رواه مسلم.

الثالث: أن يستشعر المعاق الأجر والثواب المترتب على صبره على الإعاقة، وهو الجنة كما ثبت في السنة، ويتذكر حال المرأة السوداء التي كانت تصرع في زمن النبي ﷺ؛ فخيرها النبي بين الشفاء والصبر على البلاء فاختارت البلاء؛ فبشرها بالجنة، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عباس، فإذا صبر فهو من أهل الجنة، وكفى بذلك شرفًا ونعيمًا.

الرابع: أن يوقن أن هذا البلاء قدر ملازم له لا مفر له؛ فيتعايش مع ظروفه ويتكيف على حسب قدراته، ويزاول حياته الطبيعية بكل ما يملك، ويشارك الآخرين في بناء المجتمع، ويكون قويًّا بالله، ولا يتقوقع على نفسه، وفي الحديث: ﴿**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ**

مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم.

الخامس: أن يدرك من أصابته إعاقة أن حزنه وحسرته وكثرة همه على حاله لا ترجعه إلى حالته السليمة إلا أن يشاء الله؛ فلا يضيع عمره ووقته بالملامة والحزن والبكاء؛ لأنها أمور لا تنفعه، وتدل على الخور، بل تضره وتؤثر على نفسيته وتوقعه في الاكتئاب، وتضيع عليه الفرص.

السادس: أن يفكر في الإعاقة تفكيرًا إيجابيًّا، ويستثمر شعوره بذلك في إثبات ذاته، وتطوير قدراته، ومنافسته للآخرين، ولا يستسلم أمام نظرة المجتمع، بل يصابر ويجاهد ويسعى في كسب رزقه، وهذا ينعكس على نفسيته بالراحة، ويشعره بالثقة والمكانة والمنزلة الرفيعة.

السابع: أن يتأمل في أن الله هو المتصرف في عباده، وأننا عبيده يتصرف بنا كيف شاء، وأنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وأنه إن كان قد منعه عضوًا أو قدرة أو شيئًا من وظائف الجسم، فقد أعطاه نعمًا أخرى لا يستطيع إحصاءها، فليحمد الله على ذلك ولا يحزن.

ولذلك عروة بن الزبير لما أصيبت رجله بالأكلة وقطعها الطبيب؛ صبر واحتسب **وقال:** «أعطاني أربعة أطراف وأخذ واحدًا، إن ابتلى فطالما عافى، وإن أخذ فطالما أعطى».

الثامن: أن ينظر ويتفكر في حال من هو أشد إعاقة وبلاء منه؛ لتهون مصيبته، ويشكر الله على عطائه، فإن البلاء درجات، ولا ينبغي له أن تتطلع نفسه، وينظر إلى من هو أصح منه بدنًا، وأحسن حالًا منه؛ حتى لا يزهد في نعمة الله ولا يعرف قيمتها، ثم يغتم ويحزن؛ ولذلك

أرشد النبي ﷺ لذلك بقوله: ﴿**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ**﴾. رواه مسلم.

التاسع: التفكر أن ما به من بؤس في الدنيا سينقلب إلى نعيم عظيم في الآخرة، ينسيه ما كان فيه من بؤس، فما هي إلا أيام قليلة في الدنيا فليصبر عليه، وقد ثبت في «صحيح مسلم»: ﴿**يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا بْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**﴾.

العاشر: من أعظم ما يسلي المعاق الإقبال على الله بتلاوة القرآن، والذكر، والصلاة، والصدقة، والحرص على اتباع سنة النبي ﷺ، وحضور مجالس العلم، فإن القلب إذا سكن جنة الأنس بالله وذاق لذة مناجاته وغمرته

السعادة الإيمانية نسي آلامه وهمومه وبؤسه وحاجته في الدنيا.

الحادي عشر: ومما يهون المصاب ويسلي الخاطر كثرة التفكر في أحوال الآخرة وزوال الدنيا، وأنه لن يخلد في الدنيا، وأن الموت قريب لكل حي، وأن إعاقته ونقص بدنه ستزول في الجنة؛ لأن أهل الجنة خلقهم تام، وحسن المنظر لا نقص فيه ولا إعاقة، وأنهم يكونون على صورة آدم في الحسن والجمال والطول كما ثبت في السنة.

الثاني عشر: الاشتغال بالبرامج المفيدة، والأعمال التطوعية، والمشاركة في إدخال السرور والسعادة على الآخرين ولو بالشيء اليسير، فإن إيصال السعادة للغير ينعكس على المعاق بالسعادة، ويشعره أنه قادر على العطاء.

فصل في فضل الصبر على الابتلاء بالمرض

إلى كل من نزل به المرض المزمن من السرطان وغيره، واشتد عليه الألم، وصار المرض ينهش من جسده، وذاق الأمرين من جرعات الدواء والكي، وصار معه حزن واكتئاب دائم، وفقد شهية الطعام، وفارق نشوة الفرح والمتعة في دنياه، وفقد حلاوة العبادة في بيوت الله، واستوحش الأصحاب والأحباب حين جفوه وانقطعوا عن زيارته، وانقطع رجاؤه من الدنيا، وعاش حالة الرحيل إلى الآخرة.

إليك أيها المريض المبتلى الأخ الحبيب، أخاطبك بهذه الأمور المهمة:

الأول: أبشر بعظيم الأجر ورفعة الدرجات، كما جاء في الخبر: ﴿**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**﴾. رواه الترمذي.

الثاني: أبشر بالجنة عند فقدك لعضو من أعضائك، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**قَالَ اللَّهُ** ﷻ: **إِذَا أَخَذْتُ بَصَرَ عَبْدِي فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ فَعِوَضُهُ عِنْدِي الْجَنَّةُ**﴾. رواه أحمد.

الثالث: أبشر بالجنة جزاء صبرك ورضاك بالبلاء، عن ابن عباس أنه قال لعطاء: أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهل الجَنةِ؟ قُلت: بَلى. قَال: هَذه المَرأةُ السَوداء، أَتت النَّبِيَّ ﷺ فَقالت: إِني أُصرع، وإِني أَتكَشفُ؛ فَادعُ اللَّهَ لِي.

قَال: ﴿**إِن شِئتِ صَبرتِ ولَكِ الجَنةُ، وإِن شِئتِ دَعوتُ اللَّهَ أَن يُعَافِيَكِ؟**﴾ قالت: أَصبر، قالت: فإِني أَتكَشفُ؛ فَادع اللَّهَ أنْ لَا أَتكَشفَ؛ فَدعا لَها. متفق عليه.

الرابع: تذكر أن ما فقدته من أعضائك، وخلق من جلدك وتساقط منك سيكون جزاؤه عظيمًا في الآخرة، يغبطك عليه أهل العافية في الدنيا؛ لما ورد في الخبر: ﴿**يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلاَءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ**﴾. رواه الترمذي.

الخامس: تذكر أيها الحبيب، وأنت تعاني وتكابد تداعيات السرطان قصة النبي المبتلى الصابر أيوب عليه الصلاة والسلام، حين ابتلي بالمرض المزمن بلاءً عظيمًا، وفقد أعضاءه إلا قلبه ولسانه، وتخلى عنه أقرب الناس إليه فصبر؛ فكانت عاقبته حسنة، ومكافأته عظيمة.

قال أنس: «ابتلي سبع سنين وأشهرًا، وألقي على مزبلة لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده، حتى فرج الله عنه، وعظم له الأجر، وأحسن الثناء عليه».

السادس: أيها الحبيب، حسن ظنك بربك وعظم رجائك فيه، وأيقن بأن الشافي من المرض هو الله وحده، عظمت قدرته، وتناهى علمه، وأحاط بكل شيء من مخلوقاته، خالق الأسباب والمسببات، الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع عنه شيء فتعلق برحمته وجوده ولطفه.

السابع: أيها الحبيب، اعلم أن أعظم سلاح يقاوم السرطان هو ارتفاع معنوياتك، ورباطة جأشك، وقوة نفسيتك، وزيادة إيمانياتك، واعتقادك الشفاء والنفع بالدواء الصالح، فإياك ثم إياك ثم إياك أن تيأس ويتسلل الخوف والقنوط لقلبك، فإن ضعف النفس وتدهورها له أثر بالغ في استشراء مرضك، وتمكنه من جسدك، فلا

تحزن وتماسك، واستشرف الأمل والشفاء في المستقبل، وحاول أن تستمتع بحياتك على حسب استطاعتك، وزاول أعمالك وقت نشاطك، ولا تركن للكسل والفراغ فتهلكك الوساوس والهموم وتقضي عليك.

الثامن: داوم على الرقية الشرعية من القرآن والأدعية النافعة، ولازمها ولا تفرط فيها في وقت من الأوقات؛ فإن القرآن شاف لسائر الأمراض، وله تأثير عجيب في مقاومة المرض وتخفيفه، ولا تلتفت لمن يزهد فيه وينفي نفعه من الذين عبدوا الدنيا وبهرتهم المادة، وحكَّموا عقولهم القاصرة.

التاسع: وأخيرًا أخي الحبيب، لماذا تخاف؟! ولماذا تحزن؟! ولماذا تشعر بالحسرة؟! فإنك إن بذلت السبب وصبرت واحتسبت وتوكلت على ربك فأنت بين حسنيين: إما أن تشفى ويرفع عنك البلاء، وإما أن تموت فيكتب

لك أجر الشهيد؛ لقول النبي ﷺ: ﴿**وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ**﴾. رواه أحمد.

فصل في فضل الصبر على الخسارة في المال

ومن المصائب التي يبتلى بها العبد ذهاب دنياه بأن يخسر ماله كله أو أكثره، أو يكون غنيًّا فيفتقر في بيع، أو شراء، أو استثمار، أو مناقصة، أو مساهمة، ويعظم الأمر جدًّا إذا كان قد نشأ في سعة من الرزق ورخاء وألف الدنيا؛ فيشق عليه حالة البؤس والتقلل، ويزداد الأمر سوءًا إذا اقترن بذهاب ماله ركوب الدين العظيم، ومطالبة الغرماء، وقد عظمت الخسارة وعمت في أيامنا هذه، والله المستعان.

ويختلف الناس في مواجهه الخسارة: فمنهم من يحزن حزنًا شديدًا يؤثر ذلك على صحته، وربما بلغ به الأمر

إلى أن يفعل ما يسخط الله، وقد يذهب به الشيطان إلى سوء ظنه بربه وتلفظه بألفاظ مكفِّرة. ومن الناس من يقابل ذلك بالصبر والرضا وتسليم الأمر لله، ويحتسب الأجر على الله، وكلما قوي إيمان العبد وتسليمه بالقضاء والقدر هانت عليه الخسارة، وصار الأثر ضعيفًا، والعكس بالعكس. **قال الإمام أحمد:** «الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر».

وقد تعوذ النبي ﷺ من هذه الحال؛ فقال: ﴿**اللهُمَّ إني أَعوذُ بك مِن زَوالِ نِعمتِك، وتَحولِ عَافِيتِك، وفُجأةِ نِقمَتِك، وجَميعِ سَخطِك**﴾. رواه مسلم، وقال الرسول ﷺ: ﴿**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**﴾. رواه النسائي، وأبو داود. وقال الرسول ﷺ: ﴿**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ**﴾. رواه أحمد.



وإلى كل مبتلى بذهاب ماله، أُذَكِّره بهذه الأمور التي تهون عليه مصابه، وترده إلى رشده:

الأول: أن هذه الدنيا حقيرة لا تستحق أن يبذل فيها المهج والأرواح، ولا أن نحزن على ذهابها، قال رسول الله ﷺ: ﴿**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعدل عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**﴾. رواه الترمذي.

الثاني: إن من أعظم خصائص هذه الدنيا سرعة تغيرها وانقلابها من حال إلى حال، من حال الغنى إلى الفقر، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الصحة إلى المرض، ومن الأمن إلى الخوف، وكم من غني افتقر ثم اغتنى مرة أخرى! فمن عرف صفاتها لم يركن إليها ويطمئن فيها.

الثالث: إن هذه الدنيا لا نعيم فيها كامل، ولا سرور دائم، ولا أمن مستمر، وإنما خلقت ناقصة منغصة من بعض الوجوه، ولا تكمل لأحد من الخلق، فمن بسط له

في ماله نقص له في أهله، ومن بسط له في ماله وأهله نقص في دينه - إلا ما شاء الله - فنعيمها كدر وحلوها مر.

الرابع: إن الإنسان خلق في الدنيا في مشقة، يكابد أهوال الدنيا وأقدارها، ولم يخلق لينعم أبدًا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البَلَد: الآية ٤].

قال الحسن: «يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة».

وقال قتادة: «في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا».

الخامس: أن تعلم أن الله ﷻ أخذ منك المال وهذه نعمة، ولكنه أعطاك وأعطاك الشيء الكثير، والنعم التي لا تحصى، أعطاك الزوجة والولد، وأعظم من ذلك الصحة والعافية، بل أعطاك النعمة العظمى الإيمان والهداية، فإذا تذكرت نعم الله عليك لم تكترث بزوال نعمة المال.

السادس: أن ما أصابك من هم وحزن على ذهاب مالك مأجور عليه، وتكفر به خطاياك؛ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَب، وَلاَ وَصَب، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حُزْن، وَلاَ أَذًى، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**». رواه البخاري.

السابع: أن تعلم أن ما وقع بك ربما كان عقوبة عجلها الله لك في الدنيا؛ لكسبك المحرم، أو تخوضك في الشبهات، لا سيما مع توسع الناس في سوق الأسهم، وكثرة الفتاوى التي تسهل عليهم وترخص لهم.

الثامن: أن توقن أن ما حلَّ بك من خسارة ليس نهاية المشوار وخاتمة حياتك، بل أحسن الظن بربك، وأعظم رجاءك به، واعلم أن من أخذ مالك قادر على أن يعطيك المال العظيم، والشرع والواقع مليء بهذا.

التاسع: أن تعلم أن ما ركبك من الدين - ولو كان

عظيمًا - ولست قادرًا على وفائه لا تؤاخذ على ذلك شرعًا، ولا تأثم به ولو مت قبل سداده، بشرط أن تنوى سداده إذا اغتنيت، قال رسول الله ﷺ: ﴿**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ سَدَادَهَا سَدد اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ**﴾. رواه البخاري.

العاشر: أن توقن أن الله أراد بك خيرًا عظيمًا: إما لتكفير سيئاتك، أو رفعة درجاتك في الآخرة، أو دفع ما هو أعظم من الشرور، ويروى في «مجمع الزوائد»: ﴿**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبدٍ خيرًا ابْتَلَاه، وَإِذَا ابْتَلَاه أَضْنَاه**﴾. قَالَ: يَا رَسُول الله، وَمَا أَضْنَاه؟ قَالَ: ﴿**لَا يَتْرُك لَهُ أَهْلًا وَلَا مَالًا**﴾.

وهذه أسباب بإذن الله نافعة لجلب المال وسعة الرزق:

١- الدعاء: يروى أنَّ النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: ﴿**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**﴾. رواه أحمد، وابن ماجه.

٢- الاستغفار: ففي الأثر: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**». رواه أبو داود، وابن ماجه.

٣- الصدقة: قال الرسول ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**». متفق عليه.

٤- التقوى: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٥- حسن التوكل على الله: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**». رواه الترمذي.

٦- صلة الرحم: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّه أَنْ يُبْسَط لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأ لَهُ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رحمه**». رواه البخاري.

فصل في الصبر على العنوسة

إن زواج المرأة من أنفع الأمور التي تصلح بها حياة المرأة المسلمة، وتنال السعادة في الدارين، وتتحقق لها من خلاله مصالح متعددة: من إعفاف، وسكن، واستقرار، وولد، وأنس، وغنى، وغيرها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٢١].

ولكن قد لا توفق المرأة للزواج، ولا يأتيها الحظ في هذا الشأن؛ لأسباب كثيرة خاصة تتعلق بها، أو عامة: من دينية، واقتصادية، واجتماعية، وتفصيل هذا يطول ليس هذا محله، وقد كتب كثيرًا في هذا المجال.

وإذا أصبحت المرأة عانسًا لأمر ما، وفاتها قطار

الزواج كما يقال؛ فإنها غالبًا تعيش في هم ونكد وحزن وعذاب نفسي، وشبح يطاردها، ويتجدد هذا الحزن والأسى كلما تعرضت لموقف أو مشهد يلامس عواطفها، ويحرك رغباتها الفطرية، أو تعرضت لنقد وكلام يجرح مشاعرها، أو يقلل من شأنها. وإذا استمر معها هذا الشعور والإحساس المجروح قد يسبب لها أزمات وأمراضًا نفسية، وربما أوقعها في الانحراف والرذيلة إذا وافق ذلك أسرة مفككة، ومعاملة قاسية، وحرمانًا عاطفيًّا.

إنه لا مخرج للعانس من هذه الدوامة - بعد إذن الله وتوفيقه - إلا بالوعي والثقافة الصحيحة المستندة على المفاهيم الدينية الصحيحة، وقواعد التربية السليمة، والتجارب الناجحة.

ينبغي على العانس أن تتفهم المرحلة التي تمر بها، وتوطن نفسها على الصبر على ذلك، وتمعن النظر والتأمل في الأمور الآتية التي تسليها وتهون مصابها:

أولًا: أن تعلم أن عدم توفيقها للزواج أمر كتبه الله عليها، والواجب عليها أن ترضى وتسلم بما كتبه الله عليها، وتفوض أمرها لله؛ فإن فعلت اطمأنت وسكنت نفسها، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١]، **قال علقمة:** «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويسلم».

ثانيًا: ولتعلم أيضًا أن الله قدر ذلك لها لحكمة عظيمة قد تخفى عليها، فالله لا يقضي أمرًا شرًّا أو خيرًا إلا لحكمة، فالأقدار كلها قدرت لتحصيل مصلحة راجحة، أو درء مفسدة راجحة ليست عبثًا، ولم يقدر الله قدرًا شرًّا محضًا، بل يكون فيه خير من جانب آخر.

ثالثًا: ولتعلم أنه قد يكون عدم الزواج بالنسبة لها أفضل وأحسن حالًا من الزواج، فصرفه الله عنها دفعًا لما أعظم من الشرور، فقد يكون زواجها فتنة عليها، وبلاء يعرضها للعقوبة العاجلة أو الآجلة.

رابعًا: أن تدرك أن عدم توفيقها للزواج ليس نهاية الحياة بالنسبة لها، وليست السعادة محصورة في هذه الحال، بل السعادة لها أسباب كثيرة حسية ومعنوية، إذا حصلتها سعدت بها، ومن أعظمها: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: الآية ٩٧]. **قال ابن عباس:** «هي السعادة».

خامسًا: أن توقن أنه إذ كان الله قد منعها هذه النعمة الطيبة فقد رزقها نعمًا أخرى كثيرة، منها: الصحة، والعافية،

والهداية، والمال، ولا يحصيها إلا الله، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤]، **قال أبو الدرداء:** «من لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه».

سادسًا: أن تدرك أن هذه الحال التي ظاهرها الحزن والحرمان تتجلى فيها منحة وهي التفرغ، وعدم الانشغال والالتزام بأعباء الزوج والعيال، فإذا وظفتها وشغلتها بالخير كانت نعمة جليلة وغبطة لها.

سابعًا: أن تعلم أن ما يصيبها من هم وحزن وألم من جراء ذلك هو خير تؤجر عليه، وتكفر خطاياها، وترفع منزلتها، وهذا يهون عليها، قال رسول ﷺ: [**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، لَا يَقضي الله لَه قضاءً إلاَّ كان خيرًا له، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**]. رواه مسلم.

ثامنًا: ينبغي على العانس أن تشغل وقتها بالأعمال الناجحة، والبرامج المفيدة، مما يعود على إصلاح دينها ودنياها، وإن شغل الوقت بالعمل المتجدد الدءوب المعطاء له أثر حسن على تسلية العانس، وسلوها عن فقد الزواج والأولاد.

تاسعًا: ينبغي لها أن تحسن التوكل على الله، وتعتمد عليه حق الاعتماد، وتحسن الظن بربها، وتلتجئ إليه في كشف همها، وتنفيس كربها بالصلاة والدعاء والذكر، وحفظ الجوارح، وتكون متفائلة بحصول الخير منه، ومن اتصل بالله وأنزل همه به أصلح حاله ولم يضيعه.

إن أعظم ما يسعد العانس ويدخل على قلبها السرور بذل الجهد في سبيل إسعاد الآخرين من المحرومين، والفقراء، والمساكين، والأيتام، واللقطاء؛ فإن قلبها يسعد وينشرح إذا رأت الفرحة في وجوه الآخرين، وتشعر حينها

أن لها دورًا عظيمًا في الحياة، وأن لها قيمة في المجتمع.

إن عدم انشغال العانس بأمر ذي بال، ووقوعها في الفراغ له أثر سيئ في جلب الأحزان والهموم، وتمكن الشيطان من قلبها، وفتح عليها باب الندم والألم بسبب فقدها الزواج؛ فتصبح نهبًا للوساوس والأفكار السيئة، وقد يحملها ذلك على طلب المتعة عن طريق العلاقات المحرمة.

إن على العانس أن تملأ حياتها، وتوجه طاقتها من عاطفة وفكر واهتمام، ومشاعر في أمور نافعة، تجد نفسها فيها من اشتغال بطلب العلم، والثقافة، ومشاركة في الدعوة إلى الله، ومشاريع تطوعية إنسانية، وهوايات مبدعة مفيدة، وغير ذلك مما تستفرغ فيه جهدها، وتشغل بالها. أما بقاؤها عاطلة، وشعورها بالوحدة، وتفاعلها واستجابتها لحاجاتها الفطرية يوقعها في الاكتئاب،

والاضطرابات النفسية.

إن أخطر أمر على العانس يجعل حياتها جحيمًا وعذابًا ملازمًا استحضار حالة العنوسة في فكرها، وأن تلوم نفسها، وتنتقد تصرفاتها على سبيل الدوام، واعتقادها أنها هي السبب الوحيد في عدم توفيقها في أمر الزواج، فجلد الذات، وممارسة اللوم والعقاب المستمر، وتحميل المجتمع المسؤولية، والحقد عليه يجعلها تعيش حالة اليأس والحزن السلبي، الذي يترتب عليه مفاسد وشرور.

ولو تأملت وتفكرت أن العنوسة التي حلت بها لا تخلو من حالتين:

الأولى: أن لا يكون لها علاقة مباشرة وتدخل، وإنما انصرف عنها الأزواج لأمر لا تملك فيه خيارًا ولا قرارًا، بل هي موانع أوجدها الله فيها وفي ظروفها:

من عاهة، أو نقص، أو تعسر حال، أو عضل ولي ليس في مقدورها تجاوزها، ففي مثل هذه الحالة لا يليق بها أبدًا أن تلوم نفسها؛ لأنها لم تتسبب في ذلك.

الثانية: أن يكون ما حل بها بسبب منها مباشر وتدخُّل؛ فقد كانت ترفض الأزواج، وتتعنت في الشروط، وتتشدد في الأوصاف والمؤهلات؛ فانصرف الأزواج عنها، فهذه الحالة أيضًا لا يحسن بها أن تلوم نفسها؛ لأنه خطأ فات وانقضى، وأصبح في عداد الزمن الماضي، ولا يليق بالمؤمن أن يعاتب نفسه ويعاقبها على أمر فات لا يملك استدراكه، بل هو باب يلج منه الشيطان ليحزنه ويصرفه عن الخير، وقد قال الله تعالى في توجيه المؤمنين: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: الآية ٢٣]. **قال عكرمة:** «ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزن

صبرًا».

فالمشروع لها أن تتجاوز هذه المرحلة، وتنسى وتتناسى، وتعيش حاضرها، وتتطلع للمستقبل المشرق بإذن الله.

ينبغي على العانس أن لا تيأس من حصول الخير ونزول الرحمة فيما يأتي من حياتها، فلا تيأس من روح الله، ولا تغلق باب التفاؤل، وأن تكون متعقلة واعية واقعية في اتخاذ القرار إذا سنحت لها فرصة، ولو كان فيها شيء من النقص ما دام أن المصلحة راجحة، فإن تقدم لها رجل متزوج وهو كفء ذو دين وخلق، أو رجل كبير؛ فلتستخر وتشاور أهل الحكمة، ثم تقبل به ليتسنى لها العفاف، والرعاية، والذرية الصالحة التي تصلها بالبر في حياتها ومماتها. وكم من امرأة عاقلة قبلت بذلك؛ فاغتبطت وسعدت، وكانت حياتها إلى الأفضل.

فصل في سلوكيات محرمة لأهل البلاء

ومما يؤسف له أن بعض المسلمين ممن قل إيمانه، وضعفت بصيرته، واستولت عليه الغفلة واتباع خطوات الشيطان إذا نزل به البلاء سلك سلوكيات محرمة:

الأول: سوء الظن بالرب؛ بحيث يقع في قلبه ظن سيئ بأفعال الله، وقضائه وقدره، وعدله وحكمته؛ فيظن أنه غير مستحق لهذا البلاء، أو أن الله ظلمه، أو أن الله يرزق أعداءه ويضيق على أوليائه؛ وهذا ينافي الحكمة، ونحو ذلك من الظنون الكاذبة، والاعتقادات الفاسدة التي يفعلها أهل النفاق والشك، وهذا العمل من أعظم الجرائم القلبية، وهو من عمل أهل الجاهلية، قال تعالى ذامًّا للمنافقين ومعيرًا لهم: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ

عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفَتْح: الآية ٦].

الثاني: التسخط باللسان: من سب الدهر، ورفع الصوت بالصياح، ونعي الجاهلية، وكل ذلك مما حرمه الشارع وشدد فيه، كما جاء في «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أَنَا بَرِئٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ**». **والصالقة:** هي التي ترفع صوتها عند المصيبة بالنياحة. **والحالقة:** هي التي تحلق شعرها أو تنتفه؛ إظهارًا للجزع. **والشاقة:** هي التي تشق ثوبها من الجيب.

الثالث: التسخط بالجوارح بشقِّ الجيوب، ولطم الخدود، وحلق الشعر، وكل هذه من الكبائر العظيمة التي حرمها رسول الله ﷺ بقوله: «**لَيس مِنا مَنْ ضَرَبَ الخُدود، أَوْ شَقَّ الجُيُوب، أَوْ دَعَا بِدَعْوى الجَاهِلِيَّة**».

متفق عليه. وإنما حرمها الشارع وشدد فيها لما فيها من إظهار الجزع، والتسخط على القضاء، وسوء الظن بالله.

الرابع: سب الدهر، والسنة، واليوم والليلة والساعة؛ لاعتقاد أنها سبب للبلاء، وقد حرم الله ذلك، ونهى عنه النبي ﷺ بقوله: «**لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**». رواه مسلم، وعند البخاري: «**يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**». ونهي عن ذلك لأن سب الدهر سب لخالق الدهر، وموجد المصائب والبلاء فيه، وهو الله، أما الوقت فهو مخلوق وليس له علاقة بوقوع البلاء، ولا موجد له، إنما الموجد والخالق هو الله وحده ﷻ، والتعلق بالزمان تعلق بالأوهام؛ فلا ينبغي للمؤمن أن يعلق قلبه بأمر ليس له تأثير البتة.

الخامس: الدعاء على النفس والولد والمال عند

نزول المصيبة، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؛ لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ؛ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**». رواه مسلم.

وقد نهي عن ذلك خشية أن يوافق الدعاء ساعة إجابة؛ فيستجيب الله ويقع الهلاك والضرر؛ فيندم الداعي بذلك ندمًا شديدًا، وكثير من الناس إذا ابتلي يغضب ويعجل ويدعو على نفسه، وهذا السلوك من ضعف الإيمان، وقلة البصيرة، وغلبة الجهل والسفه.

فصل في ذكر الآيات الواردة في البلاء

سأذكر أهم الآيات التي تحدث الله فيها عن البلاء والابتلاء في كتابه العزيز، مفسرًا معناها على سبيل الاختصار، سائلًا الله التوفيق والسداد:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

يخبر الله تعالى في هذه الآية أن من حكمته أنه يصيب عباده المؤمنين بذهاب الأمن، وحصول الجوع والفقر، وموت العزيز، ونقص الثمار، ومن صبر منهم فله بشارة عظيمة في الآخرة جزاء صبره على البلاء في

الدنيا، ثم بين صبرهم بأنهم استرجعوا وفوضوا أمرهم لله في الحال، وأقروا أنهم عبيد لله يصرفهم كيف شاء في الدنيا، وأنهم يرجعون إليه في الآخرة، ثم بين جزائهم وعطائهم بثلاثة أمور: ثناء الله عليهم، ورحمته لهم، وحصول الهداية لهم في الدنيا والآخرة.

٢- قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

يخبر الله تعالى في هذه الآية أنه ما كان ليدعكم أيها المؤمنون بشرعه على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق حتى يميز الخبيث من الطيب بالمحن والابتلاء، فيظهر المنافق من المؤمن، وتتضح الأمور ولا تختلط.

٣- قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

أَشْرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٦].

يخبر الله تعالى أنكم ستختبرون أيها المؤمنون في أموالكم بإخراج النفقات الواجبة والمستحبة، وبالجوائح التي تصيب أموالكم، وفي أنفسكم بفعل الطاعات، وما يحل بكم من جراح أو قتل وفقد لأحبابكم؛ حتى يتميز في هذه الأحوال المؤمن الصادق من المنافق، ولتسمعن من أعدائكم الكفار ما يؤذي أسماعكم من الشرك والطعن في دينكم، وإن تصبروا أيها المؤمنون على ذلك وتلزموا طاعة ربكم؛ فإن عملكم ذلك من عزائم الأمور التي تستحق المنافسة فيها.

٤- قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٦٣].

يخبر الله تعالى أنه يختبر ويمتحن اليهود في الاصطياد

يوم السبت بسبب خروجهم عن طاعة الله، وكفرهم بنعم الله.

٥- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: الآية ٧].

يخبر الله تعالى أنه خلق الأجرام العظيمة من السموات السبع والأرضين السبع في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك؛ ليختبركم أيكم أحسن عملًا، والعمل الأحسن هو ما كان خالصًا لله، موافقًا لسنة رسول الله ﷺ.

٦- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: الآية ٧].

يخبر الله تعالى أنه خلق ما على وجه الأرض من المخلوقات جمالًا لها، ومنفعة لأهلها؛ ليختبرهم أيهم

أحسن عملًا بطاعته، وأيهم أسوأ عملًا بالمعاصي، ويجزي كلًّا بما يستحق.

٧- قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].

يخبر الله تعالى أن كل نفس ستموت لا محالة مهما عمرت بالدنيا، ووجودها في الحياة لأجل الابتلاء بالتكاليف أمرًا ونهيًا، وبتقلب الأحوال شرًّا وخيرًا، ثمَّ مآلها ومرجعها يكون بعد ذلك إلى الله للحساب والجزاء.

٨- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ٣٠].

يخبر الله تعالى أن في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله، وإن كنا لمختبرين الأمم بإرسال الرسل

إليهم قبل وقوع العقوبة عليهم.

٩- قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

يخبر الله تعالى: أظن الناس حين قالوا: آمنا أن الله يتركهم بلا اختبار وامتحان، ثم بين الله أنه امتحن واختبر من قبلهم من الأمم ممن أرسل إليهم الرسل ليعلم علمًا ظاهرًا من صدق منهم في إيمانه، ومن كذب منهم في ادعائه الإيمان ليميز كل فريق منهم عن الآخر، وهذه سنة الله في كل أمة.

١٠- قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: الآية ٤٠].

يخبر الله تعالى بأن الذي عنده علم الكتاب قال للنبي سليمان: أنا آتيك بعرش بلقيس قبل ارتداد جفنك إذا نظرت لشيء، فأذن له سليمان فأتى بالعرش، فلما رآه سليمان حاضرًا عنده قال: هذا من فضل ربي عليَّ؛ ليختبرني أأشكره على هذه النعمة أم أجحد نعمته، وأنكر معروفه، والشاكر لله نفعه يرجع إليه، والكافر بنعمة الله لا يضر إلا نفسه، والله غني عن شكره، كريم يعم بفضله الشاكر والكافر في الدنيا، ثم يحاسبهم في الآخرة.

١١- قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

يخبر الله تعالى أنه سيبتلي المؤمنين بالقتال في سبيل الله؛ حتى يعلم من يجاهد ويصبر على دينه من غيرهم، ثم بين أنه يكشف ويظهر من يأبى القتال في سبيله ولا يصبر على الجهاد.

١٢- قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: الآية ٢].

يخبر الله تعالى أنه أوجد الخلائق من العدم؛ ليختبرهم أيهم يحسن عمله ممن يسيء، والعمل الأحسن ما كان خالصًا لله، موافقًا لهدي الرسول ﷺ.

١٣- قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورى: الآية ٣٠].

يخبر الله تعالى أن سبب نزول المصيبة على المؤمن هو عصيان الله، وطاعته للشيطان والهوى، ثم بين سبحانه أنه يعفو برحمته عن كثير من السيئات ولا يجازي عليها.

١٤- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعَام: الآية ١٦٥].

يخبر الله تعالى أنه جعلكم تعمرون الأرض جيلًا

بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، وفاوت بينكم في الأخلاق، والأرزاق، والجمال، والفضائل، والمراتب؛ ليختبركم فيما أنعم عليكم وفضلكم به؛ فيختبر الغني ويسأله عن شكره، ويختبر الفقير ويسأله عن صبره.

١٥- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٤٨].

يخبر الله تعالى أنه لو شاء لجعل كل الناس على دين واحد، وشريعة واحدة، لا ينسخ شيئًا منها، ولكنه بحكمته شرع لكل أمة شريعة خاصة بها، ثم نسخها أو نسخ بعضها بشريعة الأمة الأخرى، وقد خص كل أمة بشريعة؛ ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم ويعاقبهم على طاعتهم ومعصيتهم.

١٦- قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البَلَد: الآية ٤].

يخبر الله تعالى أنه خلق الإنسان في شدة وبلاء،

فهو يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة.

١٧- قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحَجّ: الآية ١١].

يخبر الله تعالى أن بعض الناس ممن يظهر الانتساب لدين الإسلام وهو يعبد الله على شك لينتفع بالدين ويظفر بالدنيا، فإن حصل منفعة دنيوية استمر على دينه، وإن ابتلاه الله في نفسه وماله وولده وخسر شيئًا عظيمًا من الدنيا انتكس وتخلى عن إيمانه؛ لأن إيمانه كان صوريًّا لأجل الدنيا، وحينئذ يخسر دنياه وآخرته، ويكون مصيره النار، وهذا هو ثمرة الابتلاء تمحيص المؤمنين.

فصل في ذكر الأحاديث الواردة في البلاء

سأذكر في هذا الفصل جملة من الأحاديث التي تناولت الابتلاء، مبينًا شرحًا مختصرًا لها:

١- قال النبي ﷺ: ﴿**مَا يُصِيبُ المؤمن مِنْ نَصَب، وَلاَ وَصَب، وَلَا هَمٍّ، وَلاَ حُزْن، وَلاَ أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**﴾. رواه البخاري ومسلم.

دل الحديث على: أن كل ما يصيب المؤمن من تعب، أو ألم، أو وجع، أو هم أو غم، أو حزن؛ يكون سببًا في تكفير السيئات، ومحو الذنوب، ورفعة الدرجات، وهذا خاص بالصغائر، ولا يشترط في حصول التكفير الصبر على ذلك.

٢- قال النبي ﷺ: ﴿**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**﴾.

رواه البخاري.

دل الحديث على: أن الله ﷻ إذا أراد بعبد من عباده المؤمنين ثوابًا ورفعة في الآخرة أصابه بالبلاء؛ ليصبر، ويحتسب، ويتذلل، ويقبل على ربه.

وفيه دليل على أن ابتلاء المؤمن أمارة على إرادة الخير له.

٣- قال النبي ﷺ: ﴿**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**﴾. رواه الترمذي.

دل الحديث على: أن الثواب والنعيم في الآخرة يزيد ويكثر بحسب البلاء والامتحان في الدنيا، فإن زاد البلاء زاد الثواب، وإن نقص نقص.

ودل على أن ابتلاء العبد دليل على محبة الله له.

ودل أيضا على أن المؤمن إذا رضي بالبلاء رضي الله عنه،

وإذا سخط سخط الله عليه.

٤- قال النبي ﷺ: ﴿**مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ؛ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**﴾. رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح».

دل الحديث على: أن نزول البلاء على المؤمن في نفسه وأهله وماله يطهره من الخطايا والذنوب؛ حتى يلقى الله من غير خطيئة.

٥- قال النبي ﷺ: ﴿**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خيرًا عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ؛ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**﴾. رواه الترمذي.

دل الحديث على: أن الله إذا أراد بالمؤمن خيرًا أصابه بالبلاء عقوبة له في الدنيا؛ ليكفر خطاياه، وإذا أراد به شرًّا أخر حسابه وعقوبته للآخرة؛ ليستوفي منه ويطهره، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

٦- عن سعد رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: ﴿**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَاه الله عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ ومَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**﴾. رواه الترمذي.

دل الحديث على: أن طائفة الأنبياء أكثر من يبتلى في الأمم لقوة بصيرتهم، ثم يأتي بعدهم في كثرة البلاء أكثر المؤمنين إيمانًا، ثم من قل منهم، وهكذا يتفاوت أهل البلاء في كثرة البلاء وقلته على حسب منزلة إيمانهم. ودل أيضا على أن البلاء مكفر للخطايا.

٧- عن محمد بن خالد، عن أبيه، عن جده - وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: سمعت رسول الله يقول: ﴿**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ فلَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَل ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صبر عَلَى**

ذَلِكَ؛ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ. رواه أحمد.

دل الحديث على: أن صنفًا من المؤمنين يكون نزول البلاء عليهم سببًا لرفعة درجتهم ومنزلتهم في الجنة، التي لم يبلغوها بعملهم؛ فيفتح الله عليهم بابًا من البلاء، ويوفقهم للصبر والاحتساب؛ لينالوا تلك الدرجة الرفيعة.

٨- قال النبي ﷺ: **﴿عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ﴾**. رواه مسلم.

دل الحديث على: أن سائر أحوال المؤمن خير وتؤول إلى خير؛ لما فيها من الاطمئنان والسكينة والرضا في الدنيا، والأجر والرضا والنعيم في الآخرة، وهذا الفضل والتوفيق خاص بالمؤمن؛ لعبوديته وإخلاصه وحسن عمله،

وتعلقه بالله، **والمؤمن يتقلب في حالين:**

الأولى: يكون في فسحة وغنى وعافية؛ فيشكر المنعم ويغنم.

والثانية: يكون في ضيق وضرر ومرض وعسر؛ فيصبر ويحتسب الثواب من الله؛ فيغنم وتحمد له العاقبة. وهكذا تكون حياة المؤمن كلها في سعادة، ونعيم، وهداية لا يشعر بها الكافر والمنافق.

٩- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ فَقَالَ: ﴿**مَا لَكِ تُزَفْزِفِينَ؟**﴾، قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا. فَقَالَ: ﴿**لَا تَسُبِّي الْحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**﴾. رواه مسلم.

دل الحديث على: عيادة النبي ﷺ المرضى ومواساتهم، ودل أيضًا على النهي عن سب الحمى التي تصيب

المريض؛ لأن الله يبتلي بها المؤمن؛ لتكفير سيئاته، ورفعة درجاته، كما تطهر النار الحديد، وتزيل عنه العلائق، والله خلق الحمى وسائر الأمراض لحكمة، وهي مخلوقة، لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله، وسبها لا فائدة فيه، وفيه سوء أدب مع الله، وقدح في حكمته.

١٠- عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: أَلا أُريكَ امْرَأَةً مِن أَهلِ الجَنةِ؟ فَقُلت: بَلى. قَال: هَذه المَرأَةُ السَوداء؛ أَتت النَّبِيَّ ﷺ فَقالت: إِني أُصرع، وإِني أَتَكَشفُ؛ فَادعُ اللَّهَ تَعَالى لِي؛ قَال: «**إِن شِئتِ صَبرتِ ولَكِ الجَنةُ، وإِن شِئتِ دَعوتُ اللَّهَ تَعَالى أَن يُعَافِيَكِ**»؛ فَقالت: أَصبر، فَقالت: إِني أَتَكَشفُ؛ فَادع اللَّهَ أنْ لَا أَتكَشفَ؛ فَدعا لَها. رواه البخاري ومسلم.

في هذا الحديث: خيَّر النبي ﷺ المرأة التي تصرع بين الشفاء في الدنيا، أو الصبر على البلاء وتكون

عاقبتها الجنة، فاختارت الجنة، وهذا يدل على أن الصبر والاحتساب على المرض سبب عظيم في دخول الجنة.

وفي الحديث: حرص الصحابية على الستر والصيانة عن التكشف.

١١- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ؛ فَقَالَ: «**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**» فقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ؛ فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**». رواه البخاري ومسلم.

في الحديث: دليل على أن فضل الصبر وثوابه يكتب عند أول صدمة المؤمن بالمصيبة؛ بحيث يحتسب ويسترجع ويملك قلبه ولسانه وجوارحه عما يسخط الله، فهذا

هو الصبر الممدوح الذي يترتب عليه الثواب، أما إذا تسخط عند المصيبة فقد فاته الأجر.

وفيه دليل على أن رفع الصوت بالبكاء عند القبر ينافي الصبر الواجب.

١٢- عن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري ﭬ: أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ؛ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ؛ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أنفق كُلّ شَيْءٍ بِيَده: «**مَا يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصبر يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاء خَيْرًا وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**». رواه البخاري ومسلم.

دل الحديث على: فضل التعفف عن سؤال الناس، والاستغناء عما في أيديهم لمن قل ماله، وضاقت حاله، والمؤمن يتعفف عن الخلق لاستغنائه بالله وصبره،

وكمال توكله على الله، وترفعه عن ذلة ومنة الخلق، ومن تعفف عفَّه الله، ومن استغنى بالله أغنى قلبه، وأوسع رزقه، وكفاه همه، ونفس كربه، ومن استغنى بالمخلوق خذله، وأفقر قلبه، وأذله وتخلى عنه، ومن يبذل وسعه ويجاهد في تحصيل الصبر يعينه الله، ويفتح عليه أبواب الصبر.

ودل الحديث على: أن العبد لا يعطى عطاء أفضل وأعظم من الصبر؛ لأن الصبر جزاؤه بغير حساب.

وهذا الحديث أصل عظيم في تسلية وتعزية من ابتلي بالفقر والشدة.

١٣- قال النبي ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَيَقُولُ: انْظُرَا مَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ؛ فَإِنْ هُوَ إِذْ جَاءُوهُ حَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ؛ فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ**

أُبْدِلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ». رواه مالك.

دل الحديث على: فضل ثناء المبتلى بالمرض على الله وحمده، وهذا هو مقام الصبر حال البلاء، وقد تكفَّل الله لمن فعل ذلك بالبركة في بدنه حال شفائه، وبدخول الجنة، وتكفير سيئاته حال وفاته، وهذا يدل على عظيم ثواب الصابر بالمرض.

١٤- قال النبي ﷺ: «**يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلاَءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ بِالمَقَارِيضِ**». رواه الترمذي.

دل الحديث على: فضل وثواب أهل البلاء يوم القيامة؛ جزاء صبرهم ورضاهم بالبلاء والبؤس، وحرمانهم من النعيم في الدنيا؛ بحيث يتمنى أهل العافية أن جلودهم تقرض بالمقاريض؛ لما يرونه من كثرة وعظم الثواب على

البلاء، وهذا فيه عزاء عظيم لأهل البلاء في الدنيا.

١٥- قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ الله تَعَالى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ**». رواه البخاري.

دل الحديث على: عظم فضل الصبر على فقد الحبيب في الدنيا، وأن من صبر على ذلك واحتسب ثوابه عند الله؛ فله الجنة، ويكون الصبر والاحتساب بترك كل ما يسخط الله من الأقوال والأفعال المحرمة.

١٦- قال النبي ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**». رواه البخاري.

دل الحديث على: أن المؤمن إذا عرض له عارض المرض أو السفر كتب له أجر جميع الأعمال التي كان يواظب عليها وهو في حال الصحة والإقامة، ولم يستطع الإتيان بها لهذا العارض.

وهذا يدل على كمال كرم الله، وجوده، ولطفه بعباده. وفيه بشارة للمريض الذي عجز عن التقرب لله بالنوافل.

١٧- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ؛ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ تَعَالى فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**﴾. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللهِ ﷺ. رواه مسلم.

دل الحديث على: مشروعية أن يقول المبتلى بمصيبة: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**﴾. ومن قال هذا الذكر حال المصيبة أعطاه الله ثواب الصبر على المصيبة، وعوضه الله أفضل وأحسن

مما فقده، وبارك له في أمره؛ فجمع له بين خيري الدنيا والآخرة.

ولما فقدت أم سلمة زوجها - وكان من أحسن الرجال - ثم قالت هذا الذكر - موقنة بفضل الله، صابرة محتسبة للأجر - عوضها الله خيرًا من زوجها؛ فزوجها رسول الله ﷺ، وكانت تظن في نفسها ألا يأتيها رجل أطيب من زوجها.

١٨- عن أسامة بن زيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ، ابْتَلَى الله ﷻ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ**». رواه مسلم.

دل الحديث على: أن الطاعون - وهو الوباء العام الذي يهلك به الناس - عذاب يرسله الله على الخلق بسبب ذنوبهم، وقد وقع في الأمم السابقة وفي أمتنا،

والمشروع حين وقوعه على أهل بلد عدم الدخول عليهم، ومن كان فيهم عدم الخروج منها لأجل الفرار منه.

فالطاعون ابتلاء عام لتكفير السيئات حين غلبة الفساد، وهذا يدل على شؤم الذنوب وخطرها على المجتمع.

فصل في أحكام البلاء

۞ وهذا بيان لبعض الأحكام المهمة المتعلقة بالبلاء على سبيل الاختصار:

الأول: تمني الموت عند نزول البلاء:

يكره للمسلم تمني الموت أو الدعاء به مهما نزل به من البلاء، أو الكرب، أو ضيق الحال، ولكن إن كان فاعلًا فليدعو الله بأن يختار له ما كان أصلح له من

الموت أو الحياة، فعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: ﴿**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ من ضُرٍّ أَصَابَه، فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**﴾. متفق عليه.

فنهي المسلم عن ذلك؛ لأن بقاءه حيًّا خير له؛ ليزداد من الطاعة، ويتوب من المعصية، كما في رواية البخاري: ﴿**إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**﴾. ولأنه من تمني وقوع البلاء واستعجاله، وقد لا يطيق ذلك حين وقوعه؛ ولأنه يخشى أن يكون فيه نوع من التسخط والجزع من قضاء الله وقدره، وهذا النهي عن تمني الموت والدعاء به محمول عند أكثر العلماء على الضرر بالدنيا كالفقر والمرض وغيره.

أما إذا تضرر الإنسان في دينه، وخشي على نفسه الفتنة بالشبهات أو الشهوات؛ فلا بأس عليه أن يتمنى

الموت، وأن يدعو به؛ ليسلم دينه ويموت على الإسلام، كما قال رسول الله ﷺ في دعائه: ﴿**وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**﴾. رواه الترمذي.

وقال ﷺ: ﴿**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ؛ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ**﴾. رواه البخاري. وقد فعل ذلك جماعة من الصحابة فمن بعدهم، فقد **قال عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللهم انتشرت رعيتي، وكبرت سني، وضعف جسمي، فاقبضني إليك غير مفتون».

فلا حرج على المؤمن إذا رأى أنه سيفتن أن يتمنى الموت؛ ليسلم دينه، ويلقى الله على حال مرضية.

الثاني: الإخبار بنزول البلاء:

يحرم على المؤمن الإخبار بنزول البلاء على النفس أو الأهل أو المال للغير، إن كان ذلك على سبيل التشكي للمخلوق والتسخط والجزع لقضاء الله وقدره؛ لأن هذا

من باب التسخط والتشكي المنافي للصبر الواجب، أما إن كان يخبر بذلك غيره من باب بثِّ الهم، أو طلب الاستشفاء، أو الاستشارة، أو غير ذلك من الأغراض الصحيحة؛ فلا حرج في ذلك، ولا يؤاخذ المؤمن على ذلك شرعًا، ولا يقدح في التوحيد؛ لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فعلوا ذلك ولم ينكر الله ﷻ عليهم، كما قال الله على لسان لوط: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هُود: الآية ٧٧].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود أنه قال للنبي ﷺ: إنك لتوعك وعكًا شديدًا؛ فقال: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رجُلَانِ مِنْكُمْ**». وكان الإمام أحمد وغيره يفعل ذلك. **وقال المجد:** «ولا بأس أن يخبر بما يجده من ألم ووجع لغرض صحيح، لا لقصد الشكوى».

الثالث: الانتحار عند شدة البلاء:

يحرم على المؤمن قتل نفسه مطلقًا، سواء كان ذلك لسبب، أو لغير سبب؛ لأن هذه النفس أمانة استودعها الله، فلا يحل إزهاقها في جميع الأحوال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ٢٩]، وقد ورد الوعيد الشديد في الآخرة لمن فعل ذلك، فعن عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «**مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا؛ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ؛ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوجَأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**». متفق عليه.

وورد في «صحيح البخاري»: «**الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعَنُ نَفْسَهُ يَطْعَنُ نَفْسَهُ فِي النَّارِ،**

وَالَّذِي يَقْتَحِمُ يَقْتَحِمُ فِي النَّارِ. وقد كان النبي ﷺ لا يصلي على قاتل نفسه؛ من باب الزجر والتخويف من هذا الذنب العظيم، كما ورد في «صحيح مسلم».

فهذه النصوص تدل على عظم جرم قتل النفس، وهي عامة في سائر الأحوال والظروف، وقد ورد في السنة على سبيل الخصوص ما يدل على أنه لا يباح للمسلم قتل نفسه لشدة الجراح، وعظم المشقة؛ فيقتل نفسه ليرتاح من جراء ذلك، ففي «الصحيحين» قال رسول ﷺ: **كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَقَالَ اللَّهُ: بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**. وفي رواية: **كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ؛ فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ؛ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ؛ فقَالَ اللَّهُ: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ**. وكذلك ورد فيهما أيضًا قصة الرجل الذي قاتل قتلًا شديدًا؛ فأعجب الناس به، فأخبر النبي أنه من أهل النار؛ فتبعه رجل ليتبين

حاله، فقال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا؛ فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه؛ فخرج الرجل إلى رسول الله فقال: أشهد أنك رسول الله.

فهذه النصوص تدل صراحةً على أنه لا يباح للمسلم أن يقتل نفسه تحت تأثير التعذيب؛ ليرتاح من هذا الجحيم، بل الواجب عليه في مثل هذه الحال الصبر حتى يلقى ربه وهو راض عنه؛ ولذلك لم ينقل عن النبي ﷺ أنه رخص لأصحابه حين عذبوا في مكة بقتل النفس، فلو كان جائزًا لرخص لهم؛ رفعًا للحرج عنهم، وإنما رخص لهم بقول كلمة الكفر وموافقة الكفار في الأقوال اعتبارًا لحال الإكراه.

الرابع: البكاء عند فقد الحبيب:

يجوز للإنسان البكاء عند موت الحبيب من ولد،

ووالد، وقريب، وصاحب، إذا كان البكاء بدمع العين من غير صوت، ولا حرج في ذلك؛ لأن النبي ﷺ بكى في مناسبات عدة كما ثبت في السنة الصحيحة، فقد بكى النبي ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، وقد قال: «**العَيْنُ تَدْمَعُ، وَالقَلْبُ يَحْزَنُ، وَمَا نَقُولُ إلَّا مَا يَرْضَى الرَّب، وَإِنَّ عَلى فِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**». متفق عليه.

وثبت في «صحيح البخاري» أنه بكى ﷺ عند وفاة إحدى بناته. فالبكاء الطبيعي الذي لا يظهر منه التسخط على القضاء والقدر، ولا يظهر منه الجزع فإن ذلك جائز ولا شيء فيه، وهذا يعد من الفطرة، ومن الأمور الطبيعية في الإنسان؛ لأنه في هذه الحال رحمة ورأفة، يعتبر من الخصال الحسنة التي جبل عليها المؤمن؛ ولأن البكاء لا ينافي الصبر والرضا بالقضاء.

أما البكاء برفع الصوت والصياح واللطم والشق

والحلق فهذا محرم، وهو من الكبائر؛ لأن فيه تسخطًا للقضاء، وينافي الصبر الواجب، وقد ورد فيه وعيد شديد، وورد في الصحيح: ﴿**إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**﴾. وهذا الوعيد محمول عند المحققين من أهل العلم على من أوصى أهله بالبكاء المحرم عليه بعد موته، أو كان ذلك عادة قومه، وعرفًا متبعًا لديهم، ولم ينكر عليهم في حياته؛ فيؤاخذ عليه؛ لأنه مفرط في ترك النصيحة الواجبة، وغاش لهم في الأمانة.

الخامس: أنين الصوت عند شدة المرض:

كره طاووس رَحِمَهُ اللهُ أنين المريض ورفع الصوت بالتأوه؛ لأنه من الشكوى، وقد ينافي الصبر الواجب، والملائكة تكتب أنين المريض، وقرر السفاريني إباحة ذلك، وعدم كراهته إن كان للاستروواح من غير قصد التسخط، وهو رواية عن أحمد، وهو الصحيح؛ لأنه لا

دليل في الشرع على كراهته، والأصل الإباحة، ولأنه ثبت في «صحيح البخاري» قول النبي ﷺ: ﴿**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ**﴾. وهذا أبلغ من الأنين؛ ولأن ذلك ليس من إظهار الشكوى للمخلوق، ولا ينافي الصبر؛ ولأن فيه راحة وتنفيسًا للمريض، فلا حرج على المريض من إظهار الأنين والتأوه إذا كان ذلك من طبعه وعادته، ويشق عليه إخفاؤه.

السادس: تخصيص آيات وأدعية لأنواع من العلل والبلاء:

درج كثير من الناس اليوم على تخصيص آيات وأدعية معينة لأنواع العلل، فيستحبون دعاءً لطلب الولد، ودعاءً لعلاج العقم، وآخر لتسهيل الولادة، وآخر لمن لا يعيش له ولد، وآخر لعلاج الاكتئاب، وآخر لعلاج الفقر. . . وهكذا لسائر العلل، ومنهم من يخصص عددًا معينًا للدعاء؛ حتى يتحقق المقصود، ويروون فيها قصصًا تؤيد

صدق استدلالهم، وصحة تجربتهم، ونفع طريقتهم.

ولا شك أن الاستشفاء بآيات القرآن الكريم من أعظم الدواء النافع، والترياق الناجع، إذا خلصت النية في الاسترقاء به، وعظمت الثقة بكلام الله، وتوجه القلب بكليته لله، مع حسن الظن والتوكل عليه، وهو نافع بإذن الله لكل مرض وعاهة حسية ومعنوية، وترجى بركته وصلاحه لكل مشكلة ومعضلة، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: الآية ٨٢]. فكل كتاب الله نافع، إلا أن الله خص بعض آياته وسوره بمزيد من الفضل: كالفاتحة، والمعوذتين، والإخلاص، وآية الكرسي، وخواتيم البقرة، ونحو ذلك مما ورد في السنة تخصيصها بفضل ونفع، وقد كان النبي ﷺ يواظب على الاستشفاء والرقية بها.

أما تخصيص آيات معينة لكل مرض أو عائق أو بلاء لم يرد في الشرع فهذا له صورتان:

الأولى: أن يكون تلاوة هذه الآيات من باب أنها من القرآن المبارك، وثبتت التجربة بالانتفاع بها وحصول الشفاء بها من غير اعتقاد أن لها خصوصية، أو ثوابًا خاصًّا، أو تخصيصَ عدد معين في تلاوتها؛ فالذي يظهر أن هذا العمل جائز ولا شيء فيه؛ لأنه داخل في عموم الاستشفاء بالقرآن؛ ولأنه مبني على أن الأصل في باب الرقية والاستشفاء الجواز بكل ما ثبت نفعه، وصحت تجربته، ما لم يشتمل على محظور.

فهذا الباب لا يشترط فيه التوقيف؛ لقوله ﷺ: ﴿**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**﴾. رواه مسلم. وقد روي في ذلك آثار عن السلف الصالح والعلماء المحققون على استعماله كما هو معلوم في

تصرف الشيخين ابن تيمية وابن القيم، ودرج العلماء على تخصيص آيات للسحر والعين والحسد وغير ذلك؛ مما يظهر فيه مناسبة ظاهرة بين معنى الآية والمرض المراد علاجه، وقد تكون المناسبة فيها نوع خفاء في العلاقة بينهما، ويكون مبنيًّا على القياس ودلالة الاستنباط.

قال ابن القيم في «الزاد»: «وكان كثيرًا - يعني شيخه ابن تيمية - ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٥]».

الثانية: أن يعتقد الراقي بهذه الآيات المعينة أن لها مشروعية خاصة، أو فضلًا خاصًّا، ومزية في هذا المرض المخصوص، أو يقيد تلاوتها بعدد معين، أو تكرارها في أوقات محددة كالصباح والمساء، أو مدة معينة، أو يرتب على ذلك ثوابًا خاصًّا، أو يحدث كيفية خاصة للاستشفاء بها كتعليقها على البدن، فهذا

عمل محدث لا أصل له في الشرع، لا يسوغ للمسلم التعبد به، ولا ترغيب الناس وحثهم عليه.

فصل في أمور تخفف البلاء وتعين على مقاومته

ومن الأمور التي تخفف البلاء على المبتلى، وتسكن الحزن، وترفع الهم وتربط على القلب:

١- الدعاء: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أُمر عند الكسوف والآيات بالصلاة، والدعاء، والاستغفار، والصدقة».

وقد كان النبي ﷺ يكثر من أدعية الحفظ من البلاء قبل وقوعه، وسؤال العافية.

٢- الصلاة: فقد «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة». رواه أحمد.

٣- الصدقة: وفي الأثر: «داووا مرضاكم بالصدقة». رواه الطبراني. والإحسان إلى الخلق يكون سببًا بإذن الله في إحسان الله للعبد، وتخفيف البلاء عليه.

٤- تلاوة القرآن: كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: الآية ٨٢]. فالقرآن كلام الله شفاء ورحمة، وسبب عظيم لنزول البركات، ورفع البليات، وتيسير المعسرات، وفتح أبواب الرزق إذا قُرئ واستشفي به بنية صالحة، وقلب مخلص.

٥- الدعاء المأثور: عند نزول المصيبة، كما في «صحيح مسلم»: قالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ؛ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي**

خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَة قُلْتُ: أَيُّ المُسْلِمين خَيْر مِنْ أَبِي سَلَمَة؟ أَول بَيْت هَاجَر إِلَى رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا؛ فَأَخْلَف الله لِي رَسُول الله ﷺ.

٦- تذكر زوال الدنيا ونعيم الجنة: فإن المؤمن إذا ابتلي بالمصيبة، واشتد عليه الكرب، وضاقت عليه الدروب، ثم تأمل في سرعة زوال الدنيا وانقضائها، وأن لذتها مؤقتة منقطعة، وتأمل في عظيم نعيم الجنة وخلوده، وأن لذة الجنة دائمة لا تزول، وأن صبره على هذا البلاء يكون طريقًا لهذا النعيم؛ هان عليه الكرب، وقويت نفسه على الرضا، وطمع في ثواب الصبر.

❁ ❁ ❁

فصل في وصايا لأهل البلاء

المشروع للمؤمن حين وقوع البلاء عدة أمور:

١- أن يتيقن أن هذا من عند الله؛ فيرضى ويسلم الأمر له.

٢- أن يلتزم الأدب الشرعي ولا يخالف أمر الله، فلا يتسخط، ولا يسب الدهر.

٣- أن يتعاطى الأسباب النافعة لدفع البلاء أو تخفيفه.

٤- أن يستغفر الله ويتوب إليه مما أحدث من الذنوب.

٥- أن يكثر من الأعمال الصالحة، ويقبل على الله بكليته.

فضل التوحيد وأهميته في الثبات عند نزول البلاء

التوحيد له أثر عظيم في تثبيت المؤمن عند نزول البلاء وتخفيف أثره، فمن كان متمسكًا بالتوحيد ومحققًا له سهل عليه البلاء مهما كان وقعه؛ لأن قلبه متعلق بالله، متوكل عليه، واثق بقضائه وحكمه وحكمته، راض بثوابه، **ويتجلى فضل التوحيد في هذا المقام في ستة مشاهد:**

المشهد الأول: أن الموحد يؤمن إيمانًا جازمًا بوقوع القضاء والقدر، وأنه لا مفر منه، ولا مناص، ولا ملجأ، كما جاء في الحديث: ﴿**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**﴾. وهذا يسهل عليه وقع المصيبة، ويجعله يسلم الأمر لله؛ لأنه لا يمكنه الهروب منه بحال من الأحوال.

المشهد الثاني: أن الموحد يؤمن إيمانًا جازمًا بأن

البلاء نزل بحكمة الله، وتفرده بتصريف العباد وتسييرهم وفق مقتضى حكمته البالغة، وهذا هو حقيقة توحيد الربوبية، وهذا يسهل عليه البلاء؛ لأنه يعلم أنه لم يقدره الله عليه عبثًا، وإنما لفائدة تعود عليه في العاجل والآجل.

المشهد الثالث: أن الموحد يوقن يقينًا جازمًا بوعد الله وعظيم ثوابه لمن صبر واحتسب على البلاء، وأن الله أراد أن يرفع منزلته في الآخرة، وهذا يهون عليه أثر البلاء، ويجعله هنيًّا مريئًا على قلبه وروحه، يتلذذ بمرارته.

المشهد الرابع: أن الموحد يوقن يقينًا جازمًا بوعيد الله، وعظيم عقوبته لمن تسخط ورد قضاء الله وقدره، وأن من خسر في هذا الابتلاء والامتحان سيخسر في موقفه بين يدي الله يوم القيامة، وهذا يجعله يفر ويهرب من سلوك التسخط، وينجو من الوعيد المترتب على

التسخط.

المشهد الخامس: أن الموحد عند نزول البلاء حسن الظن بالله، عظيم الرجاء به مستوثقًا بعون الله ونصرته ومعيته لعبده المؤمن في سائر أحواله، وهذا يسليه ويهون عليه؛ لأنه يوقن أن الاصطفاء والمحبة لا تكون إلا بعد الابتلاء.

المشهد السادس: أن الموحد يشاهد بقلبه تمام الملك والتدبير لله الواحد القهار، وأن العبد بين يدي الله يصرفه كيف يشاء، فالملك ملكه والعبد عبده، والأمر أمره.

أيها المبتلى، لا تحزن لما أصابك

مع كثرة البلاء يصيب المؤمن ضعف وخور ووهن شديد، وقد يترك في نفسه آثارًا سيئة، وأعراضًا نفسية، ورؤية متشائمة؛ فينقطع عن الخير، ويغلبه الحزن والاكتئاب، ويسوء ظنه بربه.

لماذا تحزن وأنت تعلم أن البلاء علامة على محبة الله، كما قال رسولك الكريم ﷺ: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»**؟

لماذا تحزن وأنت تعلم أن البلاء كفارة لذنوبك، كما قال قدوتك ﷺ: **«مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ؛ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»**؟

لماذا تحزن وأنت تعلم أن البلاء طريق للجنة، كما

قال حبيبك ﷺ: ﴿**يَقُولُ الله تَعَالى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ**﴾. رواه البخاري؟

هل تعلم بأن مجرد صبرك على البلاء فقط من غير عمل صالح كثير يرفع درجاتك في الجنة، وينزلك المنازل العالية، كما أخبر بذلك رسولك ﷺ: ﴿**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللهِ، فَمَا يَبلغهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ الله يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيّاها**﴾. رواه ابن حبان؟

أيها المؤمن، لماذا توهن وأنت تعلم أن ما أصابك لم يكن باختيارك وقدرتك؟ فلا تلومن نفسك على أمر ليس في طاقتك دفعه، وإنما هو بتقدير الله وقضائه؛ لحكمة أرادها الله منك، فلوم النفس على الأقدار المؤلمة نقص في العقل، وضعف في البصيرة، وخلل في الإيمان بالقدر.

أيها المؤمن، أبشر بالخير العظيم؛ لما فاتك من فقد العزيز وعرض الدنيا وأنت صابر محتسب، فإن الله إذا أراد بعبد خيرًا أصاب منه، كما ورد في الأثر.

تذكر أيها المؤمن، أن رسولك  نزل به عظيم البلاء فكان قويًّا، صابرًا، ثابتًا، لم يوهن ولم يجزع، ومضى في سبيل الطاعة والخير، ولم يبدل تبديلًا.

تذكر أنك ما زلت قويًّا بالله، واثقًا بعطائه ولطفه ورحمته، لا تتزعزع، ولا توهن، ولا تضعف أمام حزن الأيام وصروف الليالي، فاستعن بالله وتوكل عليه، أحسن التوكل.

أيها المؤمن، تنبه أن الشيطان عدوك اللدود يريد أن يطيح بك، ويلقي في روعك الحزن والأسى والوهن لما أصابك من البلاء؛ فتحصن منه بالذكر وتغلب عليه.

أيها المؤمن، كلما نزل بك البلاء تجلد واصبر، وأظهر

الرضا، وإياك أن تضعف وتخور قواك أمام أهلك وولدك وخاصتك؛ لأن ذلك يضعفهم وينزل الخوف في روعهم، ويفقدهم الثقة والتوازن، بل أعطهم الأمان، وامنحهم الهدوء، وإذا خلوت بربك فبث همك، وأرسل دمعتك، وأخرج أحزانك.

أيها المؤمن، إذا اشتد عليك الحال وضاقت بك السبل فاركن إلى ربك الرحيم كاشف الهم، وتعلق برحمته ولطفه، واسترجع في مصيبتك، وافزع إلى الصلاة، والزم الذكر حتى يكشف كربك، وتزول كربتك، كما كان نبيك ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وكان يقول: [**أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بِلَال، أَرِحْنَا بِهَا**]. رواه أبو داود.

وقال ثابت البناني: «وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة».

أيها المؤمن، تأمل كما أن الله قد أخذ منك وابتلاك

فقد منحك الكثير من النعم، وحفظ لك أنواعًا من الخير، والأمور التي تجلب لك السرور والحبور، وأعظم ذلك الإيمان والهدى ومعرفة الحق واتباعه؛ فاحمد الله على ذلك وحافظ عليه.

أخي المؤمن، أنت تملك بإذن الله القوة والقدرة والثبات والشجاعة على تجاوز هذه المصيبة، والمضي قدمًا في بذل الخير، وفعل الطاعات، وتكثير الحسنات، فلا تقعد عن ذلك، ولا يغلبك اليأس والقنوط، ولا تسوف؛ فإن العمر قصير.

أخي المؤمن، إن أعظم ما يكشف الهم عنك، ويزيل الغم من روحك، ويجعلك منشرح الصدر بذل الخير لأهل الحاجات، ورفع البلاء عن المتضررين، وإدخال السرور عليهم، ومد يد الرحمة والإحسان للبؤساء، كما كان رسولك ﷺ حريصًا كل الحرص على الإحسان

للخلق، وقضاء حوائجهم، وتفقد عوزهم.

أخي المؤمن، تذكر أن خلاصك من الهم وفرجك من الكرب وطريق سعادتك هو الله العزيز الوهاب؛ فافزع إليه، وعلق قلبك به وحده، واقصد كرمه، ولا تعلق رجاءك بالمخلوق مهما كانت منزلته؛ لعجزه وفقره.

أيها المؤمن، إلى الأمام ننتظر عطاءك وبذلك، ومسابقتك في الخيرات، وسيرك إلى العلياء، وثباتك حتى تلقى ربك وتفوز برضاه، والملتقى الجنة عند محمد وصحبه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين

فهرس الموضوعات


الفتح للصف والإخراج
أبو يحيى علي بن إسماعيل
TEL.00201002421106
A L F A T H